السنة الاولى العدد ٤ ١٥ شباط سنة ١٨٩٨

المشرق

الاخ (فرا) غريفون وجبل لبنان

في القرن الخامس عشر

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تتمة هذه المقالة)

١٠

وسنة ١٤٦٠ كانت قد جرت المفاوضة في انشاء بطريركية في المشرق للاتين (١ . وعرض البعض ان تُسلَّم مقاليدها للاخ لويس دي بولونية الفرنسيسي الايطلياني . فحضر هذا الى رومة مع وفودٍ من قبل ملك طرابزون داود وشاه العجم وغيرهما من امراء الشرق وألحّوا كثيرًا في طلب تعيين هذا الاخ للبطريركية . فأبى عليهم ذلك بيوس الثاني وقد اتّضح فيا بعد انهُ اصاب في امتناعهِ عن اجابة سؤلهم فان سيرة الاخ المشار اليهِ في فرنسة وايجكة والبندقية (٢ وبلاد بولونية العجم غدت موضعًا للريب والظنون . قال هفلِه في معرض الكلام عنهُ (٣ : « ليس لنا ما يدلّنا على ان هذا الاخ الغريب الطباع كان مُشعوذًا »

فسواء خطر لبولس الثاني ان يهتمّ بما أُهمل في عهد سلفهِ فاقام غريفون بطريركا ام اكتفى فقط بسيامتهِ اسقفًا ففي كلا الحالتين يمكننا ادراك ما رواه المؤرخون الفرنسيسكان عنهُ اعني سيامتهُ للاساقفة (٤

---

١) وليس لجميع الكاثوليك في الشرق كما زعم رُهرَبكر Rohrbacher, Histoire de l'Église XXII p. 269

٢) وفي هذه المدينة سعى بان سيم اسقفًا على غير رضًى من البابا (تاريخ البابوات لپاستور)

٣) تاريخ المجامع في الالمانية (Héfélé: *Conciliengeschichte* VIII, 142)

٤) قال ودينغ : من بعد موت غريفون امر سيكستوس الرابع بان يرسل من ذاك الحين فصاعدًا الى لبنان راهب فرنسيسيّ لهُ ملء التفويض بالاعفاء من التأديبات الكنسيّة والنذورات ومنح الرُخصات ولكن غير حائز شرف الدرجة الاسقفيّة . فلا ندرى ان كان غريفون وحدهُ

وذكر اصحاب ترجمته انهُ رأى بين الموارنة شابين استافتا ابصارهُ لما امتازا بهِ من الذكاء والفضيلة اسم احدهما يوحنا والآخر جبرائيل القلاعي الحفدي فنظمهما في سلك ابناء القديس فرنسيس. ثمَّ ارسلهما بعد ان ابرزا النذور الرهبانية الى البندقية فرومة لاتقان العلوم الكنسية. ولمَّا عادا فيما بعد الى الشرق بصفة مرسلين خدما وطنهما خدماً جليلة فرُقّي الاخ جبرائيل الى الدرجة الاسقفية واقامهُ البطريرك سمعان الحدثي مطراناً للموارنة على قبرس (الدويهي ١٤٣و٢٨٥ و٣٦٦). امَّا الاخ يوحنا فما لبث بعد عودتهِ الى لبنان ان استأثرت بهِ المنيَّة (الدويهي ١٤٣ و٤٠٩)

وقد تمكن في تلك الايام بعض اليعاقبة من الاختلاط بالموارنة وبثّ اضاليلهم بين ظهرانيهم. لكنَّ الاخ جبرائيل كشف عن مساعيهم القناع ودفع عن المؤمنين شرّهم. فانهُ كان كاتباً ذا قريحة جوَّادة تنقاد لهُ البلاغة وتنصاع لخدمتهِ المعاني. وروى عنهُ الدويهي انهُ كتب ٤٦٥ مقالة او ميمرًا اكثرها لدحض اضاليل اليعاقبة. ولدينا بعض هذه الميامر محفوظة في مكتبة كليتنا وهي اشبه بالأزجال. ولا ريب ان قسمها الاكبر كان موجودًا في عهد الدويهي. فان هذا الحبر العلاَّمة اورد منها مقاطيع كثيرة في تاريخهِ (١. ومما رواهُ نستدلُّ على ما لها من الاهمية لمعرفة تاريخ لبنان وشعب الموارنة قبل القرن الخامس عشر. ولنا الامل الكبير انَّ فضلاء هذه الطائفة يتحفونا عمَّا قليل بما عندهم منها اذ ليس لدينا عن تلك الازمنة اخبار وافية سواها

وفي سنة ١٤٩٤ كتب الاخ جبرائيل القلاعي الى البطريرك شمعون الحدثي يحرّضهُ على ان يطلب من رومة تثبيت انتخابهِ كما فعل جميع سلفائهِ من قبلهِ. وقد احببنا ان نذكر في هذا المقام بعضاً من رسالتهِ هذه نظرًا الى أهميتها والى ما فيها من الالمام بتاريخ الموارنة (نقلناها بحرفها عن الدويهي):

« لا يمكن لاحدٍ ان يخاصمني قائلًا ان الذي قلتهُ هو امرٌ محدث ابتدعتهُ من عند نفسي لان اكثر من خمسة عشر كتابًا من كتب الباباوات بختومها ورصاصها تشهد لي وهي

مُنح هذا الشرف نظرًا الى ما ازدان بهِ من الصفات او فاز بهِ غيرهُ. وهنا يجدر بنا ان نذكر ما رواهُ لويس دي سُوخم سنة ١٣٣٦ قال انهُ رأى اساقفة موارنة يسوسهم اساقفة لاتين. مع انهُ لم يبقَ في تلك الايَّام اثر للاسقفيات اللاتينيَّة التي انشأها الصليبيُّون في سورية

١) راجع الصفحات ٣٣٩ و ٣٥٤ و ٣٦٨ و ٣٨١ و ٣٨٩ و ٣٩٧ و ٤١٧ الخ

الآن عندك في ديرك وفيها ايمان القدماء. منكم من مائتين واثنتين وثمانين سنة فصاعداً. حتى ايمانكم انتم. وجود بخط ايديكم على يد فرا غريفون وفرا اسكندر وفرا سمعان وهي برومية. ومن قبلهم على يد فرا يوحنا رئيس بيروت وكيل وقاصد بطرككم يوحنا الجاجي الى مجمع فلورنسة. ومن قبله على يد الراهب اوماريكو من قانون الاخوة الواعظين. ومن قبله على يد الكردينال غليلمو رسول بابا رومية الى شعبكم واليهِ اجتمع (١ رؤساء كهنتكم وعلماء أُمتكم وكان بطرككم يدعى غريغوريوس من حالات وهناك وضعوا خطوط ايديهم كبيرهم وصغيرهم وحلفوا ان يكونوا تحت طاعة بابا رومية وثابتين في ايمانهِ. ومن قبله لمّا تولّى الملك غدفرادو على مدينة القدس وارسل رسل البشارة الى رومية الكبرى وصلت مع رُسلهِ اذ ذاك رُسل البطريرك يوسف الجرجسي فرجعوا اليهِ بالتاج والعصا. وفي ايام الملكة قونسطنة اخذوا يدقون نواقيس نحاس على طريقة الكنيسة. وقبل ذلك ما كانوا يدقون للصلاة الّا الاعواد مثل الروم. ولما اشترت الملكة المذكورة كنائس القدس بمائتين الف دينار وهي القيامة وقبر مريم والطور وبيت لحم اعطت الموارنة مغارة الصليب ومذابح مختصّة في باقي كنائس القدس. واباحت لهم ان يقدّسوا على مذابح الافرنج وفي حللهم وبعثت فاحضرت لهم تثبيت ما انعمت بهِ من قداسة البابا. وفي القدس حلفوا ووضعوا خطوط ايديهم ان يكونوا طائعين وثابتين في امانة رومية والباقي».

وما عدا ذلك فقد ذُكِر عن الاخ جبرائيل انّهُ عرّب عدداً وافرًا من الكتب المفيدة وألّف ايضاً التآليف الخطيرة في العربية. ودافع خير الدفاع عن ابناء طائفتهِ. ولذا بلت لهُ المنزلة الرفيعة في نفوس الموارنة. ولم تزل تآليفهُ وتاريخ حياته محفوظة في المقام البطريركي(٢

١١

امّا الاخ غريفون فانهُ بعد ارتقائه الى الدرجة الاسقفية بقي على ما كان عليهِ قبلًا من الزهد والتقشفات مواظباً على كل واجبات العيشة النسكية لاسيما الفقر الرهباني سائرًا على مثال القديسين «يظلم نفسهُ ويعامل غيرهُ بغاية اللطف والمحبة (٣» ومع ما كان

١) ويروى: وعقد بحضرتهِ مجمعاً

٢) هكذا روى الدويهي. وبودّنا لو يُنشَر هذا التاريخ فنحصل منهُ على فوائد جمّة عن تاريخ تلك الازمنة ولعلّهُ لا يخلو من ذكر بعض اخبار غريفون ايضاً. راجع ما ذكر الدويهي عن جبرائيل القلاعي في تاريخهِ من ص ٤١٢ إلى ٤٢٥

٣) هذه العبارة هي للاب ارتورُس الفرنسيسي.

عليهِ من الانقطاع الى الارشادات الخلاصية والتفرُّغ لواجبات مقامهِ لم يكن يغفل عن التأليف فصنَّف كتبًا كثيرة بالسريانية ونقل الى هذه اللغة مؤلفات عديدة. وذهب المؤرخون الغربيُّون الى انهُ اعتنى ايضًا بترجمة بعض اسفار الكتاب المقدس. ولكن لمَّا كان لدى الموارنة من عهد بعيد ترجمة مثل هذه منقولة الى العربية فترجَّح انَّ ما اعتنى غريفون بتأليفهِ انما كان تفسيرًا للتوراة لا التوراة عينها كما روى هؤلاء المؤرخون

ولسوء الطالع لم يبقَ من تآليف الاخ غريفون الآن الّا كتابين اولهما « مدائح مريم » (١ والثاني « وصف الاراضي المقدسة ». وقد اورد وَدَينغ من هذا الثاني اوَّل فاتحتهِ . امَّا الدويهي فينسب الى غريفون تأليف مير في فتوح السلطان محمَّد الثاني للقسطنطينية. وحبَّذا لو امكن وجوده. وعسى الدهر ان يسعد بعض العلماء الذين انصبُّوا في عصرنا على درس الكتب السريانية الخطيَّة فيرشدهم الى اكتشاف هذه الآثار الجليلة والكنوز الدفينة

وقد كان النصف الثاني من القرن الخامس عشر عصر تقدُّم ونجاح لجبل لبنان في الماديَّات والعلميات. فكان السلام سائدًا فيهِ بفضل المقدَّمين وحسن سياستهم. حتى اصبح المسيحيون من كل الطوائف يردون اليهِ من جميع انحاء سوريَّة (٢ . فكنت ترى في قرية حَدشيت وحدها عشرين كاهنًا وفي بشرَّاي مذابح بعدد ايام السنة. امَّا التجارة فكانت اسواقها رائجة في جميع اصقاع لبنان .

ولم تكن العلوم باقلّ منها رواجًا ونجاحًا. فقد روى الدويهي انَّ عدد النسَّاخ الذين اتَّصلت اليهِ مؤلفاتهم يبلغون ماية وعشرة عدًّا. وفي ذلك العهد شرع اللبنانيون في ابدال الخط الاسطرنجيلي بالاحرف السريانية المستديرة

وكان غريفون طعن في السنّ ولكن لم تفتر غيرتهُ ولم تضعف همَّتهُ. ولما رأى ما كانت عليهِ الديانة من النموّ والفلاح ثبت لديهِ انهُ لا يتعذَّر على اخوتهِ (٣ القيام بمتابعة الاعمال التي باشرها في لبنان فعزم على السفر الى بلاد العجم. ولسائل ان يسأل فليت شعري ما حملهُ على الرحيل الى تلك الاقطار الشاسعة فيجيبنا مؤرخوهُ انَّ غيرتهُ على خلاص النفوس هي التي

---

١) De laudibus Mariæ . لسنا ندري ان كان هذا المؤلِّف كتب باللاتينية او بلغة شرقيَّة

٢) الدويهي ٤١٥ و ٤١٦ ٣) قال الدويهي والمؤرخون الفرنسيسيون انهُ ما عدا الاخ فرنسيس البرشلوني كان لغريفون معاونون في اعمالهِ من رهبانيتهِ

بعثتهُ الى هذه الرحلة. ولكن يا ترى أما كان الاولى بهِ لو انتقل الى البلاد المجاورة للبنان فينال بها مبتغاه من أن يُقدم على تجشُّم الاتعاب والاخطار وقد بلغ سنًّا فيهِ يقبل الانسان على انجاز المشروعات التي باشرها ولا يسعى في اعمال جديدة غيرها ؟

فدونك ما رأينا من الاسباب الداعية لهُ بان يؤثر العجم على ما سواها. اخبر المؤرّخون انهُ في اثناء القرن الخامس كانت جرت عدّة مخابرات بين رومة ودولة العجم غايتها نشر الكثلكة في تلك البلاد. وكان الاخ لويس دي بولونية الذي سبق ذكرهُ دخل فارس واجتمع بشاه العجم. وهناك التقى بهِ الرحّالة البندقي امبروسيوس كُنْتاريني في سنة ١٤٧٥ فذكر عن هذا الاخ أنهُ كان يدَّعي برتبة البطريرك ويزعم أنهُ سفير امراء برغندية (١

لقد سبق لنا القول ان لويس دي بولونية لم تكن ترتاح اليهِ النفوس في رومة فلا يبعد انَّ الاحبار الرومانيين عمدوا الى استبداله بآخر حائز على ملء الثقة في هذه المخابرات الخطيرة. ولم يكن احدٌ اولى من غريفون بهذه المهمّة. لانهُ ما كان اكتسبهُ من الخبرة بشؤون الشرق والمعرفة بعوائد هذه البلاد ولغاتها استوقف عليهِ ابصار الحبر الاعظم.

وعلى كلٍّ كيفما كانت المهمّة الموكولة اليهِ سواء عُدَّت مخابرةً سياسيَّة او رسالة دينيَّة فمن الثابت انهُ ركب السفينة (٢ قاصدًا بلاد العجم وبمعيّتهِ الاخ فرنسيس البرشلوني. فاصابه في سفرته داء عياء اجبرهُ على النزول الى الماغوسة اهمّ ثغور قبرس وما لبث هناك ان ادركتهُ الوفاة في دير الفرنسيسيّين يحفّ بهِ اخوانه بالرهبانية وذلك في ١٨ تموز سنة ١٤٧٥

اما الاخ فرنسيس البرشلوني فبادر الى رومة ونعى الى سيكستوس الرابع المرسل العظيم فبعث البابا (وكان هو ايضًا من رهبانية مار فرنسيس) الى رئيس الفرنسيسيّين العامّ ان يوفد من رهبانه الى لبنان مَن يجد فيهِ اللياقة ليكون خلفًا لغريفون في منصبه الخطير. ولكن لم يتمّ هذا الامر عاجلًا كما روى المؤرّخون ولا يسمح لنا موضوعنا ان نتعرّض لهذه الامور

وحسبنا ان نقول انَّ ذكر غريفون لم يزل محفوظًا بكل اكرام بين ابناء رهبانيته. فقد ورد اسمهُ في « تراجم موتى الفرنسيسيّين » للاب هوبر وفي جملة « اخبار القديسين

---

١) تاريخ المجامع Héfélé: VIII, 142 — 144

٢) كذا روى المؤرخون. ولا نعلم ما حمل غريفون على ركوب البحر لينتقل من لبنان الى العجم. فهل كان في نيتهِ الشخوص اولًا الى رومة ام النزول في ثغر اسكندرونة والتوجه من هناك الى العجم. وهذه الخطة لا يزال يجري عليها كثيرون في ايامنا

الفرنسيسين » للاب ارتوروس وفيه يلقّبهُ المؤلّف بالطوباوي (١

وما كان الموارنة لينسوه فان البطريرك بطرس سمعان في رسالة بعث بها في ٨ اذار سنة ١٥١٤ الى لاون العاشر يطلب من هذا البابا ان يُرسل اليه نوّاباً كثريفون (٢ الذي لا يزال ذكرهُ حيّاً في قلوب الموارنة يمثّل لهم صورة المُرسَل المكمَّل. وهذا الكلام افضل ما يمكن قوله في مدح غريفون. ونحن نقف عنده وكفى به وصفاً لمن كان للدين حِطّلا ولمحبّة النفوس شهيدًا

داء السلّ وانتشارهُ في سوريّة

للدكتور حبيب افندي الدرعوني

(تابع لما سبق)

اسباب السل العامة

تدرّينا في ما سبق الاسباب الخصوصيّة التي من دأبها ان تنشر عدوى السلّ في اصقاعنا السورية. امّا الاسباب العموميّة التي تعمّ كلّ بلدٍ وكل زمان فمنها ما لا حيلة في استدراكه مثل الامراض الحادّة التي اخصُّها الشهقة والنزلة الصدريّة والحصبة وبعض الامراض المزمنة كالبول السكّري وغيره. فان تلك الامراض تهيّئ الاجسام التي تعتريها الى قبول السلّ كما تفعل كل الاسباب المضعفة سواء كانت باطنة في الجسم او خارجة عنهُ. وقد يكون للمشروبات الروحية في البدن من هذا القبيل فعل سيّئ اي امّا انها تُضعف الجسم وتُسمّه فتجعله عرضةً للسلّ او انها تستهلك دراهم مُعاقرها في سبيل مشتراها فلم يبقَ لديه ما يلزم لقوام صحّته من التغذية الكافية

اما الارث فقد كان سابقاً يُعَدّ من اوّل اسباب انتشار السلّ ويعزى اليه كلّ شرّه. وقد افصح اليوم الحقّ عن محضه فصرنا نعتبره مثل عاملٍ مهيّئ يجعل الذرّية مستعدّة لنوال السلّ نظرًا لما يرثهُ الولد عن والديه من ضعف الاعضاء او فساد في الدم غير انّهُ اذا عولج بالخوشانة ومعيشة الفلاة فيمكنهُ التملّص من طوارئ ذاك الداء. ولا ريب عندنا انّ حوادث كثيرة تنسب عادةً للارث لا يكون في غالب الاحيان مُحدثها سوى العدوى.

١) لم اجد ذكرًا لغريفون في الكتب القديمة الشاملة لاخبار القديسين البلجكيين التي راجعنا في مكتبة البولّنديستيين. مع انهم يذكرون ما عدا القديسين والطوباويين كلّ من ماتوا في رائحة القداسة

٢) راجع تاريخ المجامع (Héfélé, VIII, 682) وتاريخ رينلدي سنة ١٥١٤ العدد ٨٧

وتلك العدوى تكون قد استطرقت إمّا من نفس البيت الذي مات فيه بالسلّ احد افراد العائلة امّا من الاثاث الذي يتوارثهُ الاقارب وامّا من سكنى بيتٍ استمرّت فيه جراثيم العلّة

وغالبًا ما يدخل ميكروب السلّ في اقاصي الجسم متسلّقًا من القناة الهضمية بواسطة الحليب او اللحم وقد يكفي لاعدامه ان تُغلى تلك الموادّ على النار. والحليب يكون اكثر من غيره ناقلًا للعدوى ومن ذلك ازدياد موت الاطفال بداء السلّ في فرنسة لانهُ يُجلب فيها إرضاع الاطفال وتغذيتهم بحليب البقر. وفي هذه المناسبة يجدر بنا ان نذكّر الامّهات المصابات بالسلّ ان لا يُرضعن اطفالهنّ لان الرضاعة تكون حالتئذٍ سببًا لانتقال السلّ الى الرضيع

وقد تعوَّد بعضهم في اوربة ان يشربوا دم الحيوانات طريًّا في المسالخ بدعوى انّهُ مقوٍّ للبنية. فبئس تلك العادة لانها تكون واصلًا للعدوى اذا كانت الحيوانات مصابة بالمرض. على انَّ هذه الطريقة لم تسرِ بعد في بلادنا والحمد لله فلا خوف منها حتى الآن

لقد سردنا بالإيجاز عوامل عدوى السل العامّة والخاصّة في عادات بلادنا فبقي علينا اتمامًا للفائدة ان ننظر في العلاج وذرائع الوقاية وهي مسئلة كبيرة الاهمية مذ سطا على الافكار ان داء السل داءٌ عُقام لا دواء لهُ ولا شفاء منهُ. والحقيقة ان الشفاء مُستصعب غير انّهُ ممكنٌ وقد شاهدنا مَن برئ من تلك العلّة او كاد

علاج السل

يُغني المزاجَ عن العلاج هواؤُهُ   بالّلطفِ عند هُبوبِهِ ورُكودِهِ

لعلَّ صفيّ الدين الحلّي لم يدرِ اذ وصف منفعة الهواء بالمجازات الشعريَّة انّهُ في الحقيقة يُغني عن العلاج وانّهُ انجع علاج خصوصًا لاتّقاء السل والاستشفاء منهُ. ومن طاف اليوم سائحًا في بلاد سويسرة والنمسة وغيرهما من بلاد اوربا قد يرى صُروحًا مشيَّدة في قُلل الجبال يأوي اليها بعض المُدنَفين بالسلّ يستنشقون هواءها النقي منتظرين من فضل نسيمها ان ينفخ فيهم نسمة التعافي والحياة

امّا العقاقير المتعدّدة التي استخدمها الاطبّاء في علاج التدرُّن فنضرب عن سردها صفحًا لانّ ليس منها ما يفي بالغرض فضلًا عن انّ بعضها ربما جعل تهيُّجًا في القناة الهضمية فتقصّرها عن وظيفتها وهي وظيفةٌ لا بدّ من صيانتها لقوام الجسم وتغلّبه على المرض. واذا بَدَت في

سَير العلّة أعراضٌ تأذن باستعمال الأدوية فعلى الطبيب انتقاءها. اما العلاج المعوَّل عليه اليوم نظرًا لنتائجه المحمودة فهي الرياضة بالهواء.

هذا وانَّ الاقدمين لم تفتهم منافع الهواء في تمريض المسلولين وقد ذكر بعضهم مثل بلين الطبيعيّ نفع السياحة ان برًّا وان بحرًا. ومنذ نحو مائة سنة قد جاهر ايضًا الطبيب رُولين بوجوب عَرْض المصابين بالتدرُّن للهواء في غرفة تُترَك منافذها مفتوحة. لكنَّ تلك الوصيَّة ما لبثت ان اضحت نسيًا منسيًّا ثم توالت الابحاث في حقيقة التدرُّن وعلاجهِ وتعاقبت عليه مذاهب كثيرة فوست في آخر الامر على الرياضة بالهواء علاجًا. ولما أيدت التجربة منافعهُ الراهنة أخذ الاوربيُّون يشيّدون المستشفيات على قِمَم الجبال وأَزَّهَا زرافاتٌ من المصابين فلاقوا فيها العافية والشفاء.

والامر الذي استفزَّ الهمم لمباشرة تلك البنايات أمَّا كان فضلًا عن حوادث جمَّة شهدت بفائدة العلاج بالهواء واقعة جرت لطبيب انكليزي اسمهُ بَنِّت أُصيب بالتدرُّن في مدينة لندرة. فلمَّا استوصف زُملاءهُ وصفوا لهُ الادوية وأشاروا اليه بالانكماش في غرفة دافئة والتغذّي بالمَرَق السخن وشرب المنافيع والمُليِّنات الى غير ذلك من وسائل العلاج. اما هو فقد طَرَحها ظهريًّا وهربَ من عُزلته وأتى مدينة مانتون فصار يصرف نهارهُ مضطجعًا على الحضيض تحت اشعَّة الشمس يأكل ما تسنَّى لهُ من اللحم والزُّبد ويشرب الحليب فنال بذلك تمام الصحَّة والشفاء. فاستحثَّ مثلهُ كثيرين لان يختبروا طريقتهُ وتزايد من ثمَّ عدد المستشفيات المختصَّة بالمسلولين في المواضع العالية الصافية الهواء.

وطُرُق المعالجة في تلك المستشفيات ثلاث: استنشاق الهواء. والراحة والتغذّي وهي وان لم تكن دواءً نوعيًّا للداء الذي نحن في صددهِ تشدّد الجسم وتجعل فيه قوَّةً كافية لصدّ العُدْوَى اعني الباشلس عن الاحتلال فيه او دفعهِ الى الخارج اذا كان توطَّن وتمكَّن من اعضائهِ.

وطريقة استنشاق الهواء ان يستلقي المسلول على مقعدٍ او في حُجرةٍ مفتوحةٍ للهواء السائر وحذرًا عليه من ان يتبرَّد يلفّونهُ بالاغطية. واذا كان نحيلًا يجعلون تحت قدميهِ قنينةً مملوءة من الماء الحارّ. والمريض المحكوم عليه بلزوم مخدعهِ لضعفٍ فيه او لسبب آخر فقد يفتحون لهُ المنافذ فيتجدَّد لهُ الهواء فيتنشَّقهُ مضطجعًا كي لا تتبرَّد اطرافهُ. وشروط التهوئة ان تتوالى ليلًا ونهارًا مُضحًى ومُمسًى فلا تُقفل المنافذ مدَّة الليل بل تُسدل سجافها

لتمنع الريح وتشتّع الحرارة . وأما كانت حالة المريض فلا تمنعهُ عن التداوي بالهواء . ولو بُلي بالحمى بل ربَّما كان السبب في إزالتها استنشاق الهواء .

اما الراحة والتغذي فهما المساعدان المهمّان في استكمال نتائج العلاج بالهواء . فالراحة حاصلة طبعاً من لزوم المريض مقعدهُ في النهار وفراشهُ في الليل و إذا أُذن لبعضهم بطلب النزهة فلا تكون الّا في حمارّة النهار واشتداد حرّه ولا تدوم الّا وقتاً قصيراً . وكذلك التغذي وان شئت قل التعلُّف (اذ القصد منهُ تسمين المريض) فهو مضمون بتعيين أوقات الطعام وتحديد كميّته وكيفيّته

وإن استفسرت عن فعل الهواء أجبناك ان جسم المسلول حصنٌ فيه حاميةٌ تدفع العدوّ وهو الباشلس الذي احتلَّ فيه فاذا وهنت عزائمها صار لا بدَّ لها من مدد يشدُّ أزرها . فالرياضة في الهواء هي ذاك المدد لانها تُسلّي الاحزان وتطرد الاسقام وتشهّي الطعام فيحصل من ذلك قوّة لجسم يدفع بها الباشلس الى الوراء ريثما يتقدّم المريض مع عوامل الصحّة الى الامام . وكيفما كان الامر فان مفاعيل الهواء على المسلولين ظاهرة محسوسة فان القرحات تتعوّض وتلتئم احياناً بؤر الرئة ويجفّ النفث وتزول منهُ الباشلسات وتعود القوى ويزيد جسم المريض وزناً وتطمس عن جبينهِ شارة السل . وقد يدوم هذا الشفاء زمناً طويلاً وربّما استمرّ دوماً اذا ثابر العليل على المعالجة بالهواء وقام بكل شروطها

وما عدا تلك التأثيرات والتكيّفات المادّيّة لا ريب ان من وراء العلاج بالهواء تأثيرات أدبيّة لها بعض النصيب في الشفاء . فان الرياضة في الهواء واعتزال الاشغال والتعرّض للنور يُحدث في النفس ارتياحاً فتعود اليها الآمال وتنفتح في وجهها الاماني وتنقشع عنها غيوم الهواجس وذلك أفضل عامل في الحصول على الشفاء .

وكل مريض يمكنهُ السير بحسب ذلك العلاج في مسكنه الّا أن المستشفيات لها الفضل ما عدا مناخها ودرجة حرارتها وارتفاعها بانها تُقصي المسلول عن شواغل الجوار وهواجس الاشغال وتضطرّهُ بقوانينها ان يرضخ لنسق العلاج لانهُ ربما تراخى او تساهل به لو كان يستسير بحرّيّته

والمطلوب من مراكز تلك المستشفيات ان تكون جيّدة الهواء بعيدة عن هبوب الارياح والغُبار وان تكون مرتفعة عن سطح البحر من خمسمائة الى الف وارسمائة اوستمائة متر

بسبب ان المحلات العالية تحسّن شهيّة الطعام وتسهّل وظيفة الرئة وقد تندر فيها اصابات السل

وان سأل القاري عمّا اذا كانت بلادنا السورية لها مثل هذه المراكز اللائقة بهذه المستشفيات فالجواب ان تلك المواقع ليس فقط موجودة بل قلّ وجود مثلها في البلاد الاوربيّة من حيث الاعتدال والمنطقة والارتفاع والنضارة والمناظر. فالطبيعة قد جادت فيها بكل ما يروق للصحة ولم يبقَ لتتمّة العمل سوى ان يجود اصحاب الخير على ابناء جنسهم

وان جاز لنا ان نأتي على ذكر الحوادث التي عالجناها بالهواء ألمنا بالايجاز الى الطريقة التي تتبّعناها في هذه الربوع وإن هي الّا الجمع بين العلاج بالهواء والعلاج بالعنب مع استعمال بعض العقاقير التي تقتضي بها الحال. وغير خافٍ ان العلاج بأكل العنب كان مأثورًا وله في بلاد النمسة صروح مختصّة بهِ. وكل هذه الاسباب قد تسنّى لنا استجماعها في كروم العنب القائمة في سفوح لبنان بجوار زحلة وما يليها فترسل المسلول اليها يصرف فيها ثلاثة ام اربعة شهور تحت المظالّ فيمسي ويصبح مستنشقًا هواء جافًا نقيًا خالصًا من شائبة الفساد والغبار. وقد يعيش المريض في تلك الأكمات معيشة النبات بعيدًا عن الهموم والنائبات فيسامر الطبيعة ويبتهج بمناظرها البديعة ويغتذي بأكل ما تقطفهُ يده من عناقيد العنب كل ذلك على نسق ينشرح بهِ صدره. وقد اتّصلنا بهذه الطريقة الى نتائج لم تكن في أملنا وسنفصّل يومًا ان شاء الله ذكر العلاجات التي اخذنا في تعدادها. اما اليوم فحسبنا الاشارة الى النتائج المحمودة التي بلغناها من وراء تلك الطريقة فان المرضى بمقتضاها يعودون من مستشفاهم وقد زادوا ثقلًا وسمنًا وعافيةً وبعضهم قد احرزوا شفاء تامًا

مجلّة الهلال والنفس البشريّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

اتانا العدد التاسع من الهلال لمنشئهِ الاديب الفاضل جرجي افندي زيدان وهو متضمن كمألوف عادته المقالات المفيدة الّا اننا وجدنا في نورهِ بعض الكلَف وذلك في اثناء كلامهِ على النفس البشرية (ص ٣٤١ ـ ٣٤٤) فاحببنا ان تنجلي عنهُ هذه الشائبة فلا يصيب ضوءهُ محاق

واوّل ما استغربنا في هذه المقالة مقدّمة المؤلف الاديب ارشده الله الى كل صواب افتتح بها جوابهُ على سؤال ورد اليهِ من حضرة الاب الفاضل الخوري نيقولا غطّاس يطلب اليهِ ان يميط اللثام عن محيّا الحقائق المتعلّقة بالنفس لاسيّما خلودها فينتصر بذلك للمبادئ الصحيحة المطابقة للعقائد الدينيّة

فان هذا السؤال كما يظهر من اجلّ المباحث التي يمكن اقتراحها على مجلّة « علميّة ادبيّة » كمجلّة الهلال الاغرّ . وما اعظم ما كان عجبنا اذ قرأنا في فاتحة الجواب على هذا المطلب الخطير ما تنصّل بهِ منشئ الهلال مبديًا عذرهُ من عدم استيفائه لهذا الموضوع . وذلك لسببين : (الاوّل) لأنهُ لم يجد « في كتب الفلاسفة لاسيّما فلاسفة اللاهوت » ما يستند اليهِ ويعتصم بهِ في هذا الصدد فتراهم « فئات عديدة بين مناقض ومخالف . . . قد اطلقوا العنان للتصوّر في هذا الموضوع الى حدّ لم يعد ممكنًا معهُ فهم تحديداتهم وشرحهم . . . فيعتمدون في مناظراتهم على الالفاظ والصوَر الوهميّة اكثر ممّا على المعاني والحقائق الطبيعيّة . . . يظهر انّهم ساروا في بحثهم وجدالهم على خطّة غير ما تعوّدهُ اهل هذا القرن فنحن الآن في عصر النور الطبيعيّ واساس بحثنا الحقائق الطبيعيّة . . . » — والسبب (الثاني) الذي قدّمهُ صاحب المقالة الاديب مستميحًا العذر في الاجابة على اقتراح السائل هو « ان موضوع الهلال لا يؤذن بالابحاث الدينيّة او المذهبيّة »

قد جاء في بعض امثال العامّة ان ربَّ عذر اقبحُ من ذنب ولعلَّ هذين العذرين من هذا القبيل . نقول ذلك مع الاعتذار الى منشئ الهلال لأنّا لا نريد مطلقًا ان نسوءهُ بشيء ونحن اوّل من يقرّ بفضلهِ وسعة معارفهِ الّا ان كثيرين رغبوا الينا ان نبيّن ما في هذه الاقاويل من الغثّ والسمين فلبّينا الى دعائهم حرصًا على الاعتقاد الحسن والمبادئ القويمة

فنسأل بادئ بدء صاحب المقالة الاديب من هم اولئك الفلاسفة الذين اشار اليهم بقولهِ « ان الفلاسفة في ذلك فئات عديدة بين مناقض ومخالف » أتراهُ حفظهُ الله اراد بذلك قومًا من الدهريين الذين ظهروا في القرون الخالية بين اليونان او الرومان او العجم كالابيقوريين والمزدكيين واشكالهم او من ادّعوا باسم الفلاسفة في العصر السابق كمثل فُلتير وجان جاك روسو ومن اخذوا اخذهما . فان كان هؤلاء الذين نواهم بقولهِ وتصفّح تآليفهم فنسلّم لجنابهِ بكل طيب قلب انّ مزاعمهم نقضٌ واختلاف ليس الّا « وانّ الذي يقرأ منها مجلدًا ضخمًا في النفس يفرغ من قراءتهِ فيعود كما بدأ ليس في ذهنهِ حقيقة جديدة »

ولا بدع فانهُ لمّا كانت اقاويل هؤلاء آئلةً كلها الى جحود الخالق ونبذ الحياة المخلّدة ووضع سعادة الانسان في هذه الدنيا تراهم اذا حاولوا الكلام في النفس وخواصها يهيمون في بيداء الاوهام ويبنون مقالهم على الحجج السفسطيّة وينقضون في صفحة ما أبرموهُ في اخرى فلا يزالون كذلك يتقلّبون بين حلّ وعقد مائلين كما يقول الرسول مع كلّ ريح تعليم (اف ٤ : ١٤)

امّا اذا نوّه الكاتب في قولهِ السابق بمن كانوا للفلسفة الصحيحة أنصارًا واثبتوا الحقائق بالبراهين السديدة والحجج الراهنة التي من شأنها ان تُقنع العقول السليمة فانّنا ننكر كلّ الانكار «انّ هؤلاء فئاتٌ بين مناقض ومخالف» في هذا الموضوع بل كأنهم لسانٌ واحد يتّفق فيهِ فلاسفة النصارى مع حكماء اليونان المشركين وعقلاء المسلمين واليهود الأهمّ ألّا في مسائل جزئيّة ثانويّة تعدّدت فيها الآراء كما في كثيرٍ من الحقائق العلميّة الطبيعية

وما ساءنا في قول جنابهِ وصفهُ افلاسفة اللاهوت حيث قال عنهم «انهم اطلقوا العنان للتصوُّر. . واعتمدوا في مناظراتهم على الالفاظ والصور الوهميّة . . الخ» فلعمر الحقّ انّ هذا يسوم فلاسفة اللاهوت بخسًا ويحطّ من قدرهم الرفيع ولا نخال كاتب هذه الاسطر تصفّح مصنّفًا واحدًا من تآليفهم في هذا الموضوع لحكم على غائب وكرّر ما يتناقلهُ بعض جهّال الكتبة في حقّ قومٍ أجلاء لم يعرفوا منهم سوى اسمائهم. فهل فكّر جنابهُ انارهُ الله ان شكايةً مثل هذه تصيب ائمّة فاقت مداركهم عقول مشاهير الرجال فشرّفوا الانسانية بوجودهم كالقديس اوغسطين والقديس توما اللاهوتي وسواريس وغيرهم كثيرين

ولا يعذر كاتبنا اللبيب قولهُ فيهم «أنهم ساروا في بحثهم وجدالهم على خطّة غير ما تعوّدهُ اهل هذا القرن». أفيريد جنابهُ انّ عصرنا هذا احرز كلّ العلوم او انّ ما كتبهُ ذوو القرون السالفة لا طائل تحتهُ لأنهم لم يسلكوا على طريقة ألفها كتبة عصرنا. وماذا يفهم ارشدهُ الله بقولهِ «نحن في عصر النور الطبيعيّ واساس بحثنا الحقائق الطبيعيّة او ما يُبنى عليها» او ليس البحث في النفس البشريّة وصفاتها ومصدرها ومصيرها من الحقائق الطبيعيّة ؟ او لا يقبل جناب الكاتب الاديب سوى ما يقع تحت الحواسّ ويمسّهُ مِشرط الجرّاح ؟ فهذا نفس قول المادّيين وقى الله من شرّهم الهيئة الاجتماعية

ولا نرضى بعذرهِ الآخر اذ قال (ص٣٤٢) «ان موضوع الهلال لا يؤذن بالابحاث الدينيّة او المذهبيّة». نعم انّ الاديان تبحث ايضًا في امور النفس وتبيّن بالاسانيد المتواترة واقوال

الكتب المنزلة الصريحة . ما هو اصل النفس البشرية وصفاتها واحوالها ومصيرها لكنّ المذاهب الدينية تؤيد في ذلك الحقائق الطبيعية التي اثبتها الفلاسفة بمجرّد البراهين العقلية وتجلوها جلاء واضحًا لا يبقى بعده ريب

ما هي النفس البشرية

ثمّ انتقل صاحب الهلال الى بيان كنه النفس وتعريفها وقد اصاب بوضوحه الى قول ارسطو انّ الانسان مؤلف من شيئين نفس وجسد فالنفس هي القوّة المستقرّة في الجسد وبها نحيا ونحسّ ونزيد ونعقل . فهذا هو قول اعظم الحكماء واليه مرجع فلاسفة اللاهوت ويعرفه صغار مدارسنا فضلًا عن أيمّة المذاهب

ألا أنّنا نأخذ على كاتب هذه الاسطر ما الحقهُ بهذا التعريف اذ اورد اقاويل مباينة لهذه الحقيقة ولم يحكم في صحّتها او فسادها فانّ ذكر آراء مثل هذه لمن شأنها ان تزرع في العقول ريبًا وشكًّا فكان الاحرى ألّا يوردها او ينقضها بعد ايرادها

وفي القطعة التالية التي بها يبدي رأيهُ صريحًا في هذا الشأن قد جاء بما ينقض شيئًا من قول ارسطو السابق وليس هو كلّهُ بسديد وذلك عندما يقول « ان المشاهد المعقول هو أنّنا نرى فينا شيئين متباينين الجسمُ الحي الذي ينمو بالغذاء . . . وقوّة مدركة عاقلة » . والصواب ما قالهُ ارسطو أنّنا نجد فينا قسمًا ماديًّا هو الجسم وقسمًا غير ماديّ هو النفس وبها ينمو الجسم ويحسّ وبها ايضًا نعقل ونريد

صفات النفس

انّ ما كتبهُ صاحب الهلال الاغرّ في هذا الشأن وان كان صحيحًا يوجد فيهِ شيء من الالتباس فكان الاولى لو ميّز بين صفات النفس في ذاتها وبين قواها فبرهن اوّلًا على بساطتها اي أنّها ليست بجسد ولا بجزء منهُ ثم على روحانيّتها اي انّ لها اعمالًا تنفرد بها دون الجسم . وثانيًا على وجود قواها الثلاث وهي الذاكرة والعقل والارادة هذا مع بيان بقيّة قواها المشتركة كالخيال والوهم والحافظة . وكلّ ذلك قد بحث فيهِ الفلاسفة بحثًا شافيًا جليًّا راجع مثلًا كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه

مصدر النفس

قد خلط صاحب الهلال في هذا الباب الصحيح بالفاسد فانّهُ لا صحّة البتّة لقولهِ « نعلم ان النفس تولد مع الجسد وتنتقل من الاب الى الابن بالتناسل » لانّ النفس كما سبق

بسيطة روحانيَّة فكيف يا تُرى يمكنها الولادة والولادة كما لا يخفى من صفات الاجسام؟ او كيف تتناسل من الاب الى الابن أفيزعم انها قسم من نفس الابوين ونفس الابوين بسيطة لا تتجزأ. هذا والعقل يبيّن بنوع صريح انَّها من الله خلقها على صورتهِ في ساعة يكون الجنين في بطن امهِ مهيئًا لقبول هذه الصورة الجوهريّة

مصير النفس

سرنَّا ما قالهُ في هذا الباب صاحب الهلال وقد نفى بالبرهان قول من زعم ان النفس تفنى مع الجسم وهو كفرٌ تجت ينقضهُ العقل وتأبى الاديان جميعًا بقبولهِ. ألّا ان استطراد الكاتب الاديب الى ذكر مذهب الوهميين اخرجهُ الى ما كان عنهُ في غنى لا سيما انهُ ذكر عنهم انهم يأتون بادلة وبراهين تجعل رأيهم موضع نظر وبحث فانَّ اقوالًا كهذه كثيرًا ما ترمي العقول في الريبة فيحكم السُّذَّج انهُ ليس من امر ثابت في العالم وانَّ المزاعم كلها مع ضعفها يمكن تأييدها بالبرهان

وفي خاتمة ملاحظاتنا نقول ان كاتب هذه المقالة لم يسطرها عن روية وتبصرة فعجّل في رقمها وربما كانت مع العجلة الندامة. وما يشفع عندنا في حسن نيَّاتهِ قولهُ في آخر هذه النبذة وهو قول جدير بالثناء (ص ٣٤٤) «والخلاصة انَّ النفس قوة مستقلة عن المادة من صفاتها الوجدان والعقل والضمير والحكم اودعها الخالق في الانسان بكيفية لا ندركها وهي خالدة لا يشوبها نقص ولا يدركها فناء». فياحبذا لو كان كاتبنا الاديب افتتح كلامهُ بهذا القول وبنى عليهِ مقالته وأيدها بالبيّنات الساطعة متحاشيًا لكل ما يلقي الشكَّ والرَّيب في العقول. وليعلم صانهُ الله انَّ مثل هذه المواضيع الخطيرة تقتضي الجدّ والدقة ولولا ذلك لأضحت اشبه بسيف ذي حدّين يجرح من لم يحسن التصرف بهِ ويجرح معهُ كثيرين

المآثر الجغرافية في سنة ١٨٩٧

للاب هنري لامنس اليسوعي لخَّصها عن مقالةٍ للاخ الكيس بتصرُّف

انَّ السنة المنصرمة حريَّةٌ بان تُحصى في عداد السنين التي توفَّرت فيها المآثر الجغرافيَّة وليس كلامنا هنا على اكتشاف بلاد جديدة لأنَّهُ يصعب وجود اصقاع مجهولة بعد ان طاف

الرحالون في جميع انحاء الارض وتوغلوا في مجاهل افريقية واوقيانية · نعم اننا نعلم ان البعثات العلمية قد تعددت في ما سبق من الاعوام وخصوصاً في السنة ١٨٩٧ الى جهات القطب الشمالي · ولكن ليس شأن مثل هذه الرحل اكتشافاً جغرافياً بل الوقوف على ما تو علمية اخرى كالظواهر الجوية وما شاكلها

وكذلك لا يدور محور كلامنا على اوربا وفيها من النجاح من هذا القبيل ما لاينكره احد · وكذا قل عن اميركا ولو بقي فيها قسم كبير لم يصب بعد من التقدم نصيباً وافياً · الا ان ما طبع عليه هناك عنصر الاميركيين الابيض من النشاط لا يلبث ان يغير هيئة تلك البلاد جملة · فبقي علينا ان نبين ما ورد من هذه الآثر في افريقية واسية واوقيانية

١ افريقية

(السودان) ان اهم ما جرى في السودان من الحوادث الجغرافية هو اختطاط سكة حديدية بين ابي حمد ووادي حلفا وقد اختطه المهندسون على خط مستقيم لا يلوي مع تعطفات النيل وتعاريجه مصوباً الى دنقلة وشلالاتها

وزد على ذلك ان خطاً آخر سيجمع بين بربر وسواكين · وهذه المدينة كما لا يخفى هي مدخل بلاد السودان · اما بربر فمسافتها عن سواكين ٤٠٠ كيلو متر بينما انها تبعد عن بحر الشام بطريقة النيل نحو الفي كيلومتر

هذا وقد احتل الجيش المصري كسلة بعد خروج الايطاليان منها · وقد تعينت حدود المستعمرة الايطالية في الارتيره من جهة الغرب وبعدها من كسلة عشرون كيلومتراً

(الحبش) قد دخلت بلاد الحبش في غضون العام الماضي في طور جديد · فان انتصار النجاشي منليك على الايطاليان حرره من ربقة دولة كانت تريد مزاحمته في ملكه وجعله اكبر أمراء شرقي افريقية حتى عادت الدول الاوربية نفسها تحاول معاهدته وتلتمس مودته · وقد عين منليك لولاية النيل الاعلى الامير هنري دي اورليان واكنت الروسي ليونتياف · وتمتد هذه الولاية الحبشية الجديدة في جنوبي الدرجة السادسة الى مقربة من البحيرات الكبرى اعني على اراض كانت الدولة الانكليزية تعتبرها في منطقة نفوذها

(الدولة الفرنسية الافريقية) هو الاسم الذي يجب مذ الآن اطلاقه على مجموع الاملاك الفرنسية في افريقية · وامتداد هذه الامارة في الوقت الحاضر من البحر المتوسط الى

نهر الكنغو · ومن السنيغال الى النيل الاعلى وهي تشمل فضلًا عن الجزائر وتونس بلادَ الصحراء والسودان الغربي وغينية بقسمها الاكبر · وذلك عبارة عن بلاد اوسع من اوربَّة تبلغ مساحتها اثني عشر مليون متر مربَّع تراها مكتنفة بالاملاك الانكليزيَّة والالمانيَّة والبورتغيَّة الممتدَّة على سواحل غينية وتكاد تغمرها بسعتها

ولا تزال فرنسة تتقدَّم من الجزائر الى البلاد الجنوبية فتتَّخذ لها مراكز جديدة · وقد بعث البعثات من جهة بلاد النيجر الاعلى ومن الداهومي لتحتلَّ بالقوة او بابرام المعاهدات كل الاراضي الممتدَّة من مصبّ نهر النيجر شمالاً والدرجة العاشرة عرضًا · وعلى هذه الصورة قد تملَّكت ولايةَ (الموسّي) التي لا يقلُّ سكَّانها عن ثلاثة ملايين نفوس · وقد ضبطت بعثةٌ اخرى سارت من الداهومي بلادَ (بوسًا) المتاخمة لشواطئ النيجر · فقضى هذا الاحتلال العجبَ من الانكليز وكانوا يظنُّون ان تلك البلاد ستبقى في املاكهم · فنتج عن ذلك مشاكل دوليَّة يتحرَّى حلَّها ذوو الامر في باريس ولندرة

وقد عُقدت معهدة بين فرنسة والمانية غايتها تعيين الحدود الشماليــة لمستعمرة (توغو) الالمانيَّة على ساحل الذهب · فبناءً عليها قد اصبحت الدرجة الحادية عشرة عرضًا تخمًا لهذه المستعمرة وكان الالمانيُّون يتمنَّون لو جُعل النيجر حدًّا لها

وبموجب وثيقة اخرى أُبرمت بين انكلترة والمانية قد اضحت بلاد (سَلاغا) الواقعة في شمالي ساحل الذهب ومستعمرة توغو الالمانيَّة مستقلَّة بين الدولتين

(النيجر) ليس هناك من امر جديد حريّ بالذكر الَّا انهُ في بلاد النيجر الاسفل قد خضع رؤساء القبائل ومدَّت الاسلاك الحديدية بين ولاية لاغوس وأَبيوكوتة

(الكنغو الفرنسي) لا يزال في امتداد واتساع وكانَّ غاية الفرنسيس ان يبلغوا املاكهم الى بحيرة (تشاد) شمالًا والنيل شرقًا مارّين ببلاد بحر الغزال حيث تعدَّدت الآن البعثات الفرنسيَّة · ولا نلبث ان نعلم عمَّا قليل ما كانت نتيجة هذه المساعي التي تشغل في الوقت الحاضر افكار الجمهور وتطلق أَلسنة الجرائد

(الكنغو البلجكي) قد كانت عُهدت الى الماجور دَانيس وكالة الحملة الموجَّهة لمحاربة انصار المهديّ في بلاد النيل الاعلى غير ان جنودهُ جنحوا الى العصيان وكان عددهم الفين وهم مسلَّحون ببواريد من الطرز الحسَن فقتلوا كثيرين من ضبَّاطهم وفي جملتهم الضابط لُورد احد تلامذة مدرستنا الكليَّة الذي عرفهُ كثير من قرَّائنا الكرام · وقد حُسمت والحمد لله

هذه الفتنة مؤخرًا فأُصيب كثيرمن العُصاة بجوار بحيرة ألبرت وبُدِّد شملهم

واذا يَمَّمنا بعدُ جهةَ الشمال نجد القمندان شَلْتين يُواصل فتوحاتهِ وقد استولى على مدينة رَجَّاف على ضفَّة النيل وهي البلدة التي استفحل امرها بعد سقوط مدينة لادو القديمة . وعليهِ قد تولَّى البلجكيُّون على الاملاك التي احتلَّها سابقًا امين باشا وذلك بمقتضى معاهدة أُبرمت بين انكلترة وفرنسة وكلاهما يتاخم الكنغو البلجكي

وكان البلجكيّون قد اخذوا منذ سنين بتخطيط سكّة حديدية بين مَتادي الواقعة بجوار مصبّ نهر الكنغو وليوبولڤيل المتويّ اتّخاذها عاصمة لبلاد الكنغو. وقد انتهى منها ٣٣٠ كيلومترًا اخذ اصحابها بتسييرها والباقي سيتمّ قبل آخر السنة الجارية . فاذا ما نجز هذا المشروع الخطير سترى الخمسين مركبًا تجاريًا السائرة في نهر الكنغو الاعلى تواصل المخابرات ونقل البضائع بين اواسط افريقية وسواحلها الى اوربة . ولولا وجود السكة الحديدية لعجزت عن ذلك لانَّ النهر لا يمكن قطعهُ بالمراكب التجاريَّة في كل اقسامهِ

(افريقية الجنوبيَّة) لا يزال جنوبي افريقية في قلق واضطراب بعد حملة السير جمسون وخيبة آمالهِ. وقد تحالف هناك في بلاد أُورنج والترنسڤال جمهوريّتا البويرس محالفةً دفعيَّة لتتَّقيا بذلك هجمة المتعدين . ورغمًا عن هذه الحالة الحرجة انَّك ترى تلك المستعمرات في خصب وفلاح لاسيَّما جمهورية الترنسڤال . ومدينة جُهَنْسبرج المبنيَّة منذ عشر سنين في وسط معادن الذهب تبلغ اليوم نيفًا ومئة الف نفسٍ اكثرهم من رعايا انكلترة

هذا وانَّ السكّة الحديدية الشهيرة المختطّة سابقًا بين مستعمرة رأس الرجاء الى كَمبِرلي مدينة الالماس قد امتدَّت الآن الى بُولُمايو عاصمة المَتابيليلَند الانكليزيَّة وستلحق بالزَّمبيز . وزد على ذلك انَّهُ قد بوشر منذ بضعة سنين بمدّ خطّ آخر حديدي يسعى بهِ الانكليز والبرتغاليّون معًا اولهُ في اعالي البلاد الداخلية حيث يبلغ العلوّ الف وستمائة متر ثم ينحدر الى مرفإ بَيْرَة الواقعة في مستعمرة مُزَنبيق البورتغالية. وقد اطلقوا اسم (رُوديزية) على كل البلاد التي احتلّها الانكليز في تلك الاصقاع وذلك تذكارًا للسِير سيسيل رُود المدعوّ بَنَبْت مستعمرة الرَّأس لما لهُ من الفضل في تدبير تلك الانحاء

امَّا (المُزَنبيق) فلم يبلغ في معارج الفلاح ما بلغ اليهِ الانكليز والالمان في قسمَيْ الزنجبار الخاصّ بهما. والانكليز يجدُّون في اتمام الخطّ الحديدي الذي اخذوا في مدّهِ بين مُمبازة وبحيرة ڤيكتورية

(مدغسكر) قد صارت هذه الجزيرة الكبيرة مستعمرة افرنسية بعد ان كانت مملكة مستقلة. ففي ٢٧ شباط من السنة السابقة جاهر الجنرال غلياني بعزل الملكة راناقالونا حسمًا للفتن التي كانت تثيرها بين شعبها على الفرنسيس. وبعد ذلك بأيام نُقلت على رغم منها الى جزيرة الريونيون وقد عيّن هناك راتب سنوي لا يتجاوز خمسة وعشرين الف فرنك لتلك التي كانت منذ امد قريب تملك على اربعة ملايين من النفوس. سبحان من يبقى ملكهُ على مدى الدهر دون تغيّر وبلا انتقال. واليوم تسعى فرنسة في فتح باقي جزيرة مدغسكر. ولا يخلو هذا المشروع من مصاعب جمّة لا يغلبها الفرنسيس الّا بعد إنفاق الاموال الطائلة وتحمُّل اجناس الاتعاب

وخلاصة الامر ان انكلترة في السنة السابقة لم تفتح الفتوحات الجديدة في افريقية وانما سعت في تمكين سلطتها في املاكها القديمة. وقد سبقتها فرنسة في ضبط عدّة بلاد حتى اتّسعت املاكها الافريقية اتساعاً لم يخطر على بال. هذا وان افريقية طعمةٌ يجبُ جميع الدُوَل ان يكون لهم منها النصيب الكبير. ولم تنتهِ بعدُ حوادث تلك البلاد. ونحضُّ قرَّاءنا ان يتبصروا في خارطة قارة افريقية لا سيَّا الدرفور والكردفان والنيل الاعلى والحبش وسيطلعنا الزمان على امور لم تكن في الحسبان

٢ آسية

(آسية المتوسطة) قد أُرسلت بعثات علمية عديدة الى بلاد (قشمير) وسهول (تبت) العليا. فزار اعضاؤها ينابيع النهر الصيني المسمَّى « ينغ تسي كيان » او النهر الازرق وبحيرة كوكونور. لكنهم مثل سلفهم لم يتمكنوا من الولوج في مدينة لاسا مدينة البوذيين المقدسة

وقد اكتشف رحالة فرنسي في (تركستان الروسية الصينية) على سطوح كبيرة من الجليد وبلغ في سيرهِ الى علوّ ١٧٥٠ متر فزار هناك بحيرة جميلة المنظر تدعى إيسيك كول والغريب من امر هذه البحيرة انها كلّها مالحة تُحدق بها صخور مرتفعة تشرف عليها. وتأكد بعد الفحص ان اصل نهر ايسيك من هذه البحيرة يخرج منها جاريًا بأسراب تحت الارض

(سيبيرية) قد طاف افرنسيٌّ آخر الوهاد التي في وسطها تجري مياه نهري أوبي وإرتيش. وفي سيبيرية سهول واسعة تدعى بورال(steppes) فوجد هناك اصنافاً من النبات يمكن استخراج اليود والبروم منها وقد وقف في مواضع كثيرة على طبقات من الملح فاستدلَّ من ذلك على ان البحر غمر تلك البلاد مدّة طويلة. ولا يزال هناك بحيرات كثيرة مياهها مالحة

ورديَّة اللون لوجود الحديد فيها. وهذا المعدن كثير في سيبيرية. وقد وُجدت ايضاً في هذه البلاد الواسعة لاسيَّما في البرِ وفي بطاح نهر ينيسي وحوالي بحيرة بَيكال وفي واد نهر أمور مناجم عديدة لفحم يمكن استثمارها اذا ما نفدت يوماً مناجم اوربة الفحميَّة

وكان اكتشاف هذه المعادن صدفةً لمّا شرع الفَعَلة بالاشغال السابقة لتخطيط السكّة الحديدية المجتازة في وسط سيبيرية. وعليهِ فان ما تحتاج اليهِ قطارات سكك الحديد من الفحم في تلك البلاد يكون قريب المنال ومن ثمّ اخذ كثيرون من الفلّاحين الروسيّين يهاجرون الى تلك النواحي. الّا انّ قلّة الماء العذب يجعل السكنى فيها حرجةً. والابار الارتوازيَّة نفسها التي حُفرت هناك لم تأتِ بغير الماء المالح

وعلى كل حال انّ اهمّ حادث يجري الآن في سيبيرية انَّما هو تخطيط السكّة الحديدية وهي سوف تقطع تلك البلاد في طولها وسيتّصل بها خط آخر يمرُّ في اواسط بلاد مندشوري. ولا غرو ان الروس يبنون على اتمام هذا المشروع آمالاً عظيمة. وما ذاك الّا نتيجة السياسة الاوربيَّة لمّا تداخلت منذ نحو سنتين في الحرب المنتشبة بين الصين واليابان. فكان لهذا التوسُّط عقبى سيئة بأن أُلقيت مقاليد الامور في آسيَّة المتوسطة لروسيَّة وحدها تقضي في شمالي الصين وفي شبه جزيرة قورية كما تشاء. وبواسطة هذا الخط الجديد الذي تولَّى انجازهُ جماعة روسية صينية يتمكَّن الروس من الانتقال باسهل وأقوم طريقة من بحيرة بيكال الى مينا ڤلاديڤستوك الخاصّ بروسيَّة على تخوم قورية

(التطواف حول الكرة الارضيَّة) قد كثر القال والقيل في اقرب طريقة للتطواف حول الارض. وكان معاصرو الرحّالة مجلّان يقضون منهُ العجب لمّا اتمَّ سيره حول الارض بالف ومائة واربعة وعشرين يوماً مجتازاً بجنوبي اميركة فبحر الاوقيانوس فرأس الرجاء عائداً الى اسبانية. نعم ان اكتشاف البخار وحفر قناة سويس قصَّرا هذه المسافة تقصيراً كبيراً حتَّى ان القصّاص جُول ڤِرن امكن ان يبني على ذلك رواية علميَّة دعاها « تطواف الارض بثمانين يوماً ». وما كان ذاك وقتئذٍ الّا محض اختلاق. امّا اليوم فقد اضحى اختراع جول ڤرن غير وافٍ بصدق الواقع ويمكن الدوران حول القارة الارضيَّة بثلاث وستين يوماً. وذلك ان يرحل المسافر من لندرة او باريس الى برنديزي بيومين في سكة الحديد ثم يُبحر الى سويس فعدَن بتسعة ايّام ثم الى كولمبو فسنغبور فهُنغ كُنغ بثمانية عشر يوماً ثم الى يوكوهاما في اليابان بعشرة ايّام ثم الى سان فرنسيسكو بثلاثة عشر يوماً ثم يركب سكة الحديد الى

نيويرك باربعة ايّام ونصف ثم يركب البحر الى ليفربول بستّة ايام فيقفل راجعاً الى باريس او لندرة بيوم واحد. والمجموع ٦٣ يوماً ونصف

فهي الطريقة التي يسلكها كثيرون اليوم امّا لاشغالهم الخاصّة واماً على سبيل الراحة والنزهة. واذا ما تمّ الخطّ الحديدي المارّ بسيبيرية ومندشوري الى تخوم قورية فستقصر هذه المسافة كثيرًا لانّ السّفر برًّا بالطريق الحديدية من باريس الى فلاديفستُّك مجتازًا في موسكو لا يتجاوز اثني عشر يوماً. فاذا زدت اثني عشر يوماً أُخر الى سان فرنسيسكو بحرًا وعشرة ايام للعودة من ثمّ الى باريس تجد انّ دوران الارض سوف يتمّ عمّا قليل باربعة وثلثين يوماً. ولا يبعد ان ستُقرَّب بعد عشرين سنة هذه المسافة فيحصر هذا السفر في مدّة عشرين يوماً ليس الّا وذلك اذا سار المسافرون من قورية نحو جزيرة (ڤان كوڤير) بدلًا عن سان فرنسيسكو

ويحسن بنا ان نبدي هنا ملاحظة وهي ان قولنا «التّطواف حول الارض» لا يؤخذ حصرًا في معناهُ الاصلي لانّ الارض كما لا يخفى على شكل بيوية يختلف فيها طول الدوائر. فانّ دائرة خطّ الاستواء اطول من غيرها لانّ منطقتها اوسع. وتضيق الدوائر باقترابها من القطب الجنوبي او الشمالي فتنقص هكذا المسافة نقصًا مهمًّا ربّما بلغ الى الوف من الاميال. فانّ من يطوف الارض مثلًا في زماننا لا يقطع في دورتهِ هذه سوى ٣٧٠٠٠ كيلومترًا لقصر المسافات بالسير المستقيم وقد قطع مجلاًن قريباً من ضعف هذه المسافة لسيره سيرًا ملتويًا

(جزائر هاواي) كانت عين الاميركيين منذ زمن طويل تطمح الى هذه الجزائر لتتولى امرها. ومن نحو سنتين حدثت هناك ثورة عُزلت باثرها ملكة تلك البلاد واسمها ليليوكالاني فصار الامر للجمهور. والآن يتباحث الاميركيون في الاستيلاء على هذه الجزائر وقد اقتُرحت المسئلة على مجلس النواب فصادق عليها ولا يلبث مجلس الشيوخ ان يثبت مطلوب النوّاب كما يلوح من خطاب القاهُ مؤخرًا رئيس الولايات المتحدة السير ماكنلي

(اليابان) ان انضمام جزائر هاواي الى اميركة لأمر خطير يمسُّ صوالح اليابان وعليهِ لمّا سكتت الدوَل على هذا الصنيع رفعت اليابان صوتها تطلب الى اميركة ان تدع هذه الجزائر وحالها الراهنة لا تختلس منها قديم استقلالها. لكنّ هذا الصوت سيذهب ادراج الرياح لما يعلم الاميركيون في نفسهم من القوة الجابرة

وقد نجست روسيّة ايضًا اليابانيين قدرهم لمّا زاحمتهم في حقوقهم على قورية بعد انتصارهم على الصين. ولروسية الآن هناك الكعب العالي والقدم الراسخة وغاية مناها ان

تستولي على هذه شبه الجزيرة فتتخذ لها فيها مرفأ اولى موقعاً من مرفأ ڤلاديڤستوك يتصل به خط سكتها الحديدية السيبيرية

(الصين) وكانت دولة المانية لم تنتفع حتى الآن من توسطها في الحرب الياباني الصيني. في هذه السنة استغنمت فرصة حسنة وافقت مرامها. وذلك ان مرسلَين كاثوليكيين من رعاياها قتلهما الصينيون ظلماً في مدينة يَنيبوفو في ولاية شَنْتُنغ (وهي شبه جزيرة في جنوبي خليج پتشيلي) . فلم يكتفِ الامبراطور غليوم بغرامة تبلغ عشرين الف ريال وبمعاقبة المجرمين بل امر جنوده ان يحتلُّوا مدينة كيارُتشيو مع الخور اللاحق بها وطلب ان يُمنح له امتياز في مدّ سكة حديدية في تلك الولاية. يقال ان غايتهُ ان يجعل كيارتشيو على الاقل مستودعاً حصيناً. والظاهر ان الروسية وفرنسة اتفقتا على تداخل المانية في الصين لتعترض هذه الدولة مساعي انكلترة ونفوذها المتزايد

اما الحكومة الصينيَّة فقد عزمت ايضاً على ان تمدّ خطاً حديدياً طولهُ الف ومائتا كيلومتر بين عاصمتها السياسيَّة بكين وعاصمتها التجارية هَان كوف. وهذه المدينة مركزها في وسط بلاد يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين نفوس وموقعها على ضفَّة النهر الازرق. وقد سلَّمت إنجاز هذا العمل الخطير لجمعيَّة بلجكيَّة لعلمها بان البلجكيّين لا يتخذون ذلك في المستقبل وسيلةً للاستيلاء على قسم من بلادها

(الهند الصيني) قد نال الفرنسيون فيها املاكاً واسعة وبعد معاهدتها المبرمة مع انكلترة قد تولّت على ثلاثة ارباع مملكة سيام السابقة ولم يبقَ لهذه الدولة سوى البلاد التي فيها يجري نهر مينام الصغير. وقد فتحت لها ايضاً ابواباً لتجارتها وسككها الحديدية من جهة بلاد اليونّام وغيرها من ولايات الصين الجنوبية

(الهندستان) ان السنة المنصرمة كانت سنةً مشؤومة لانكلترة في هندستان. فقامت الفتن على ساق في ولايات الهندوكوه والشترال الافغانية فهجمت قبائل الافريدي على مراكز كثيرة انكليزيَّة في الجبال ولا تزال منذ اشهر تنصب لجنودها المكامن وتشنّ عليهم الغارات وحتى الآن لم تخمد نار الثورة. اجل ان الدولة البريطانية لا تتأخر عن حسم هذا الداء. ولكن قد ظهر من خلال هذه الفتنة ما تكنهُ القلوب من العصيان وروح التمرد حتى اذا نوت الروسية يوماً ان تحتلّ الهند لا مراء انها ستجد هناك انصاراً بين القبائل التي لا تحمل نير السلطة الانكليزيَّة الّا على رغم معاطسها. ولا تجهل انكلترة هذا الامر وذلك

هو الساعث لها على الانقياد والاستسلام لرضى الدول اذا ما انشبت بينها وبينهنَّ الخصامات. فتراها قبل كل شيء. تحاول حفظ الهدوء. والسلام بين رعاياها في الهند وفي ظلّ حراستها قد زاد عدد السكان ثلاثة اضعاف في مدة قرن واحد وهم لا يقلُّون اليوم عن ٣٠٠ مليون. اعني انهم يكادون يبلغون عدد سكان اوربة كلها

٣ اوقيانية

لم يجرِ فيها امر جديد بالذكر سوى ما سبق شرحهُ عن جزائر هاواي. امَّا الحرب التي استعرت نيرانها في جزائر الفيليبين وفي أنتشين بجزيرة سوماترا فقد ارتكت ان تخمد

وخلاصة ما تقدَّم ان السَّنة ١٨٩٧ وان تعدَّدت فيها المآثر الجغرافية لم يجرِ فيها شيء. من الاكتشافات الخارقة العادة. فلم يتم فيها رحلة كرحلة كليڤنستون او ستانلي. وما اتَّسمت بهِ هذه السنة ان الدول ارسخت قدمها في مستعمراتها واوسعت نطاق اعمالها في البلاد المجاورة لها مع تقوية نفوذها في الممالك الاجنبية. ولعلَّ الروسيَّة هي التي اصابت في ذلك قصب السبق. وما من احد ينكر انَّ لها في الصين وبلاد الحبش الكلمة الراجحة. ويُستشفّ من وراء الاحوال السياسية انها عمَّا قريب تتولَّى على قورية وعلى قسم من بلاد المندشوري الصيني

وفي اوربَّا قد نالت الحكومة العلية بعد انتصارها على اليونان ان تتنازل لها هذه الدولة عن قسم من تخوم تسَّالية. امَّا الدنيمرك فانها تسعى لدى الدول بان تُشهَر كبلاد مُحايدة لا يسوغ لدولة انتهاك حماها. والظنون ان الدول ستلبي طلبها

في افريقية وحدها قد تغيَّرت رسوم الخارطة وسوف يزيد ايضاً هذا التغيير في تحديد تخومها لانهُ لا قارة غيرها يمكن فيها استملاك بلاد جديدة. ونحن نتوقع للسَّنة الحالية اموراً خطيرة في اواسط افريقية

كتاب تاريخ بيروت

(تابع لما قبل)

قال ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان : خرج من بيروت بشر كثير من اهل

العلم والرواية. قال المؤيَّد في كتاب تقويم البلدان (١ : بيروت مدينة جليلة . (وقال) قال ابن سعيد : هي فُرْضَة دمشق. ويقال انّ بيروت دار صناعة دمشق وبها عمَّر معاوية المراكب وجهَّز فيهم الجيش الى قبرس ومعهم امّ حرام واسمها الغُمَيصاء (٢ بنت مِلحان زوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فلمَّا رجعت رابطت ببيروت وماتت بها . ويقال ان في بيروت قبور جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ولكن ما اشتهر بها غير قبر الاوزاعيّ .

وممَّن ذكر بيروت في شعره الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الامويّ فقال :

اذا شئتُ تصابرتُ ولا اصبرُ ان شئتُ
ولا والله لا يَصْـبِرُ في البرّيّةِ الحوتُ
ألا يا حبَّذا شخصٌ حمتْ لُقياهُ بيروتُ

وممَّا ذكره المؤرخون انهُ في سنة خمس واربعماية (١٠١٥ م) اقطع الحاكم بامر الله (٣ (٢) خليفة مصر صورَ وصيداء وبيروت للفتح (٤ عوضاً عن حلب ولقَّبهُ مباركَ الدولة وسعدَها وكان ارتفاع (٥ الثلاثة اماكن المذكورة ثلاثمائة الف دينار

وممَّا ذكروه ايضاً انهُ في شهر ذي القعدة سنة ثمان واربعين واربعماية (١٠٥١ م) اقطع المستنصر بالله (٦ خليفـة مصر عكاً وبيروت وجبيل لمعزّ الدولة (٧ محمود (٨

١) في الصفحة ٢٤٧ من طبعة باريس

٢) وفي كتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير (٥ : ٥٧٤) انَّ اسمها الرُّمَيصاء . (قال) وقيل الغميصاء ولا يصحّ لها اسم . . . توفّيت سنة ٢٧ هـ (٦٤٨ م)

٣) تولى الامر من سنة ٣٨٦ هـ الى ٤١١ (٩٩٧ - ١٠٢١ م) وهو صاحب الدروز

٤) كان الفتح هذا دودار قلعة حلب في خدمة صاحبها ابي نصر بن لؤلؤ فجرت وحشة بينهُ وبين استاذهِ فعصيَهُ واستولى على القلعة وكاتب الحاكم بامر الله فارسل الحاكم نوّابهُ فتسلَّموا المدينة من فتح واعطاهُ الخليفة عوضها صور وصيداء وبيروت

٥) نظنُّ ان المؤلف يريد بالارتفاع ما ندعوهُ اليوم بالخراج او الاموال الاميريَّة والجزية

٦) تولّى المستنصر من سنة ٤٢٧ هـ الى ٤٨٧ (١٠٣٥ - ١٠٩٤ م)

٧) هو ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس كان ابوهُ صالح من امراء العرب فلمَّا توفّي سنة ٤٣٣ (١٠٤٤ م) الدزبري صاحب حلب سار ابنهُ ابو علوان اليها وتملَّكها وتلقَّب بمعزّ الدولة . ثمَّ ترك المعزّ للمستنصر سنة ٤٤٨ عن حلب فاقطعهُ عوضها جبيل وعكّاً وبيروت

٨) لم يكن اسم معزّ الدولة محموداً بل ثمالاً كما مرَّ . وانما محمود هذا هو ابن اخي معزّ الدولة . فلمَّا لم يرضَ بان ثمالاً تترَّل للمستنصر عن حلب جمع قومهُ بني كلاب واسترجع المدينة . (٤٥٢ هـ (١٠٦٠ م)

صاحب حلب عوضاً عن حلب واخذ حلب منهُ· ثم استرجع اقارب محمود حلب من عمّال المستنصر فاستعاد المستنصر الثلاثة اماكن من محمود· وكان الذي يقوى على دمشق ملك على السواحل حسب ما ذكرهُ المؤرخون· ولولا خوف الاطالة لذكرتُ ذلك

فتوح الفرنج لبيروت

فلم تزل بيروت في ايدي المسلمين من الفتوح الاول المذكور تنتقل من دولة الى دولة والمسلمون بها على احسن حال واسرّ بال حتى نزل بهـا بَغدوين الفرنجي (١ الذي ملك القدس وكثيرًا من مدن الساحل في جموعهِ وحشودهِ وحاصرها حصاراً شديداً حتى فتحها عنوةً بالسيف في يوم الجمعة الحادي والعشرين شوّال سنة ثلاث وخمسمائة (١١١٠م) واستولى عليها قتلًا واسرًا ونهبًا· فالامر لله ما شاء فعل

وينبغي ان نذكر طرفًا من كيفية اخذ الفرنج للبلاد لتقرب قضيّة بيروت الى فهم الواقف على هذه التذكرة

فموجب استيلاء الفرنج على البلاد التي اخذوها من المسلمين (٧) هو انهُ لمّا قويت دولة بني سلجوق (٢ ضعفت حال الخلافة ببغداد· فلمّا مات ملكشاه السلجوقي (٣ سنة خمس وثمانين واربعمائة (١٠٩٣ م) وقع الخلف بين ولديهِ محمّد (٤ وبَرْكيارُوق (٥ ودام الحرب بينهما نحو اثنتي عشرة سنة فاضطربت ممالك الشرق لذلك· ووافق ذلك خلافة الآمر باحكام الله (٦ بمصر وكان صغيرًا· ولمّا كبر كان مستهترًا بالمملكة فبهذين

---

١) هو ثاني ملوك الفرنج في القدس تولى الامر بعد اخيهِ غدفريد وتوفي سنة ١١١٩ م

٢) يريد دولة بني سلجوق المالكين في العجم وتفرّعت هذه الدولة وملك منها فرعٌ في بلاد الروم وفرع آخر في كرمان

٣) هو معزّ الدين ملك شاه بن الب ارسلان ملك العراق وخراسان وكرمان وخوارزم والارمن والكرج وما بين النهرين الى شمالي سورية· تولى الامر سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) وتوفي سنة ٤٨٥ (١٠٩٢)

٤) هو غياث الدين محمد ثالث اولاد معزّ الدين ملك شاه توفي سنة ٥١١ هـ (١١١٨م)

٥) هو ركن الدين بركيارُوق أكبر اولاد ملك شاه حارب اخاهُ محمّد زمناً طويلًا وتوفي سنة ٤٩٨ (١١٠٥ م)

٦) هو الآمر باحكام الله المنصور ولد المستعلي تولّى الخلافة سنة ٤٩٥ (١١٠١ م) وقتل سنة ٥٢٤ (١١٣٠ م)

الحالين صار الوقت للفرنج كما يقول المثل : « خلا لكِ البرُّ فبيضي واصفري (١ »

ثم وصلت جموع الفرنج في البرّ الى انطاكية فملكوها في جمادى الاوّل سنة احدى وتسعين واربعمائة (١٠٩٨ م). ثم اخذوا القدس في شَعْبان سنة اثنتين وتسعين واربعمائة (١٠٩٩ م) واستولوا في طريقهم من انطاكية الى القدس على اماكن كثيرة بعد قتال شديد. وقُتل من المسلمين على انطاكية وفي المعرّة وبالقدس ما يزيد على مائتَيْ الف مسلم. ثم بعد ذلك تزايد مَدَد الفرنج من البحر الى السواحل وانضمُّوا الى الفرنج الذين حضروا من البرّ واستولوا على مدينةٍ بعد اخرى حتّى اتوا على ساحل الشام جميعهِ وعلى غيرهِ من البلاد وفي جملة ما اخذوهُ بيروت كما ذكرنا

قال صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة (٢ : كانت قد قويت شوكة الفرنج في عهد ولاية زنكي والد نور الدين محمود العادل. وخمدت همّة المسلمين وامتدَّت مملكة الفرنج من ناحية ماردين الى (8^٣) عَريش مصر. ولم يتخلَّلهُ من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص وبعلبكّ ودمشق. وكانت سراياهم من ديار بكر الى آمد ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس عين. واماَّ اهل الرَّقّة وحرَّان فكانوا معهم في ذلّ وهوان. وكانت الرُّها وسَروج وغيرها من ديار الجزيرة للفرنج وكانوا يأخذون الخراج من مجاوريهم. ومع ذلك قد ذكر كثير من المؤرّخين ما اتّفق في حصار الفرنج لحلب وحمص ودمشق وما جرى على مصر من الفرنج حتّى كادوا يستملكونها

وبعد ذكرنا ذلك ينبغي ان نذكر لمعةً مختصرة في موجب قهر الفرنج واخذ البلاد منهم ليكون ذلك قاعدة لمعرفة فتوح بيروت

---

١) والمعروف « خلا لكِ الجوّ » وهو مثل قالهُ طَرَفة الشاعر وكان نثر حباً ليصطاد القنابر فلم تقرب اليهِ ما دام الفخّ منصوباً فلمّا رفعهُ تواردت عليهِ القنابر يلقطنهُ فقال :

يا لكِ من قُبرةٍ بِمَعْمَرِ   قد رحل الصيَّادُ عنكِ فابشري
خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري   ونقّري ما شئتِ ان تنقّري

٢) الّفهُ الشيخ شهاب الدين ابو محمَّد عبد الرحمان المقدسي. أمَّا ما استشهد بهِ هنا المؤلف فلم يروهِ بحرفهِ وانما روى معناهُ فقط (راجع الجزء الاول ص ٣٠ من كتاب الروضتين طبعة وادي النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٧)

فصل في مجمل اخبار زنكي ونور الدين وصلاح الدين

وكان موجب استنقاذ البلاد من يد الفرنج ان عماد الدين زنكي بن سَنقر (١ قد اخذ الرُّها منهم وجرت بينهُ وبينهم حروب كثيرة ثمَّ تولَّى بعدهُ ولدهُ الملك العادل نور الدين محمود (٢ لحاربهم ايضاً. فلمَّا اخذ دمشق من مجير الدين أبَق (٣ قويت شوكتهُ وتوقَّف حال الفرنج عن الزيادة والنموّ فانحطّوا. واتفق انَّ اسد الدين شيركوه الكردي (٤ دعا نور الدين ليسير معهُ الى مصر لنصر شاور الوزير (٥ على ضرغام فجهَّز نور الدين العساكر وسار الى مصر ونصرَ شاور. ثم غدر شاور واستنجد بالفرنج فسار نور الدين الى محاربته ودفع الفرنج عن مصر. ثم قُتِل شاور واستقرَّ نور الدين مكانهُ في الوزارة. ولمَّا توفّي اسد الدين شيركوه خلفهُ في الوزارة ابن اخيهِ صلاح الدين يوسف وتلقَّب بالسلطان الملك الناصر (٦. وخطب باسم المستضيء بامر الله العبّاسي خليفة بغداد (٧ وترك اسم العاضد (٨ لدين الله الفاطمي خليفة مصر (٨ واستقلَّت مملكة مصر. ثم توفّي نور الدين وتغلَّب صلاح الدين على الشام واستفحل امرهُ وعظم شأنهُ. فلمَّا قدّر الله بنصرتهِ على جموع الفرنج قهرهم بالقرب من قبر شُعَيب (٩ عليهِ السلام في جبل حطّين من عمل صفد وابادهم قتلاً واسراً. وذلك في نهار السبت لخمس بقينَ من ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م)

---

١) هو اوَّل الملوك الاتابكة في الموصل تولى الامر من سنة ٥٢١ الى ٥٤١ ﻫ (١١٢٧ – ١١٤٦م)

٢) تولّى على حلب بعد وفاة ابيهِ زنكي وخلفهُ في الامرة عليها. توفّي سنة ٥٦٩ ﻫ (١١٧٤ م)

٣) هو أبَق بن محمَّد بن بوري من اتابكة دِمَشق تولّى الامر سنة ٥٣٤ ﻫ (١١٣٩ م) وخلعهُ من ملكهِ نور الدين سنة ٥٤٩ (١١٥٤ م)

٤) كان احد امراء نور الدين وهو عمّ صلاح الدين يوسف ولّاهُ نور الدين حمص والرحبة وقدَّمهُ على جيوشهِ فاستولى على مصر مراراً وتوفّي سنة ٥٦٤ ﻫ (١١٦٩م)

٥) كان وزيراً للخليفة الفاطميّ العاضد فنازعهُ في الوزارة احد امراء العرب البدو يدعي ضرغاماً وطال بينهما الخصام. واخبار ذلك تجدها مطوَّلة في تاريخ ابي الفداء من سنة ٥٥٨ ﻫ (١١٦٢م) الى سنة ٥٦٤ (١١٦٩م)

٦) ملك صلاح الدين من سنة ٥٦٧ (١١٧٤ م) الى سنة ٥٨٩ (١١٩٣م)

٧) تولّى الخلافة في بغداد من سنة ٥٦٦ (١١٧٠ م) الى سنة ٥٧٥ (١١٧٩ م)

٨) تولّى الخلافة الفاطميَّة في مصر من سنة ٥٥٥ ﻫ (١١٦٠م) الى سنة ٥٦٧ (١١٧١م)

٩) كذا يدعو العرب حما موسى النبي واسمهُ في التوراة يَثرو

فنزل الفرنج وضعفت قوتهم. وتوجه كثير منهم الى صور وتوجه السلطان الى عكا فاخذها. وفرّق عسكره في تلك الاماكن والحصون القريبة منها فاخذوها كلّها من الفرنج وكانوا ساروا الى حطّين. ثم توجه السلطان الى صور فصعب عليه اخذها لاجتماع الفرنج بها. فتركها وتوجه الى صيدا. فاخذها بالأمان ثم توجه لقصد بيروت (ستاتي البقية)

الانتقاد (تابع لما سبق) — ما ينقصنا

٢ القول الجامع المانع

(للشاب الاديب نجيب افندي حيقة مدرّس البيان في كليتنا)

لقد اتخذتَ لك يا صاح موضوعاً تبحث فيه فبادرتَ الى «تشعيل السراج» واطلتَ النظر في ما جمعتهُ من الموادّ حتى انجلت لك اسراره وغوامضهُ واصبحتَ على بيّنة واضحة من دقائقه ووثقتَ من نفسك باكتفاءٍ فاخذت اليراع . . . على رسلك يا اخي ولا تنتقل القدم الى ما يُعقِب الندم . فان تكن توفرت لديك الموادّ فعليك ان تُفرز غثّها من السمين . فالاعتماد في البلاغة ليس على الكثرة بل على المفيد. وما كان وقوفك على حقيقة الموضوع ودقائقه ليغنيك عن أن تُحليهُ بالضبط وتحذف منهُ الفضول غير مأسوف عليه

فقل لي ناشدتك الله هل تدبّرتَ موضوعك بعين الناقد البصير ورسمتَ لهُ قالباً تفرغهُ فيه فاعتنيتَ بجمع شتاته وتنسيقه حتى تلاحمت اجزاؤهُ وارتبطت معانيه بعضها ببعض من غير حشو فجاء كلاماً جامعاً لكل ما يلزم مانعاً لكل ما لا يلزم ؟

فان فاتك ذلك ولم تفطن اليه فاسمع وقتك الله شيئاً مما اورده الشاعر رأسين بمعرض الهزل في رواية —

المُرافِعين

هجم كلب على ديك مسمَّن فتك به . وكان صاحبها مولعاً بالدعاوي فعيَّن حاجبهُ لمرافعة المجرم وكاتبَ سرّه للمدافعة عنهُ . وجلس هو يسمع كلا الفريقين ليقضي في الامر

ولمَّا كان الحاجب يجهل كل الجهل أساليب المرافعة تعيّن لهُ ملقّن يلقي في أُذنه ما يجب عليه قولهُ فاخذ هذا الحاجب وهو المرافع يتكلم بين تردّد وتقاطع واعتراض بصورة تضحك الثكلى مكرّراً عبارات الملقّن في معنى ما يأتي :

ايها السادة. اذا ما امعنتُ النظر في احوال الزمان وتقلّباتهِ. اذا ما رأيت بين افراد الناس على اختلاف طبائعهم نجوماً سيّارة ليس بينها كوكب ثابت. اذا ما رأيت الشمس والقمر. اذا ما رأيت مملكة بابل افضت ازمّتها بعد العجم الى اليونان. اذا ما رأيت دولة الرومان استبدلت الملكية بالجمهورية ثم عادت الى الامبراطورية. اذا ما رأيت القياصرة ومجدهم. اذا ما رأيت اليابان......

فقال متضجّرًا كاتبُ السرّ وهو المُدافع: فمتى ينتهي ممّا يراه ؟

فاستاء الخطيب من هذه المقاطعة وبعد الجدال حاول ان يعود الى سياق الكلام فلم يهتدِ واخذ يُنصِت الى الملقّن فيسمع صوتاً ولا يفهم معنًى ويحرّك ذراعَيهِ في الهواء. ولا ينطق ببنت شفَة. وممّا زاد في الطنبور نغمة انهُ تلعثم وتعذّر عليهِ التلفظ بكلمة عويصة فضاق صدره وعيل صبره وصاح:

لا اعلم ما الحاجة الى جميع هذه الاقوال الفارغة. امّا انا فلست اتخذ مثل هذه التعابير لأُخبر ان الكلب فتك بالديك بل استغني عن كل هذه السفاسف واقول بصريح العبارة (بالقلم العريض) ان هذا الكلب لا يُبقي على شي.. فقد كثرت شروره. واول مرّة اعثر بهِ اضربهُ الضربة القاضية والسلام (عافاهُ الله. فكم لأمثالهِ مع سذاجتهم من الاقوال والاعمال ما لا يخطر للمتفلسفين ببال)

ثم قام المُدافع وشرع يسرد عبارات لا معنى لها ويورد نصوصاً تاريخية وامثالًا ادبية وآياتٍ حكمية (مع انهُ تضجّر من اسهاب خصمهِ) ويمتد الى اقوال ارسطوطاليس. والقاضي تململ ويصيح انّ لا دخل لارسطو في المسألة وهو لا يزيد الّا شرحاً ووصفاً ونقلًا حتى بُحّ صوتهُ. والقاضي يأمره باختتام خطابه ويتوعدهُ انهُ يحكم لخصمه إن لم يعجّل

فبعد اللّتيّا والتي لم يجد بدًّا من الانصياع لامر القاضي فهتف: أمّا ولا بدّ من الايجاز (صانهُ المولى. وكيف الاسهاب) فاقول مختصرًا: قبل ان يخلق الكون. فصاح القاضي: ايها المحامي انتقل الى الطوفان وخلّصنا

فلم يرعوِ الخطيب بل مضى على كلامه فقال: قبلَ ان يخلق الكون كانت الارض والعوالم وسائر الكائنات في العدم. وكانت العناصر الاربعة الماء والهواء والنار والتراب كتلةً لا شكل لها ولا هيئة ولا انتظام...

وغير ذلك من الاقوال مستشهدًا بعباراتٍ من لغات مختلفة حتى ضاقت انفاس القاضي

واعياهُ الجهد فنام رغماً عن ولعه بسماع الدعاوي . فاذا به سقط عن كرسيه واستفاق مذعوراً هذا والخطيب لا ينفكّ عن الكلام فاستولى اليأس على القاضي فولّى هارباً

تلك هي (بالايجاز) حالة المُرافع والمُدافع . فما رأيك يا صاح . اجل انّ راسين اورد ذلك من باب الهزل . وكم وكم من الكتّاب يرمون القرّاء من غير هزل ولا مزاح . وامثالهم كثيرون . ولكني اجتزئ بالاشارة الى البعض منهم . وهم اقوامٌ لا تخفى عن الناس حالهم

انّهُ لا يرزق رجل . ولداً الّا انهالت عليه قصائد التهاني من كلّ صوب مشحونة مديحاً للاب ووصفاً لما حلّ في اكون من الافراح بوفود الطفل . فيخال للقارئ ان هذا المولود ابن اعظم العظماء . عليه عُلّقت آمال امّة بل الامم جميعها . لهُ غنّت البلابل وسطعت الشمس واهتزّت الارض طرباً وترنّحت الافلاك حبوراً . ولولاه لما كان على الارض سرور و . . . و . . . و . . .

وان نالت رجلًا نعمة فلا تسل عن المهنئين والمقرّظين المتنافسين في وصفه ببلاغة سحبان وكرم حاتم وشجاعة عنتر فينعتونهُ بربّ السيف والقلم (وكثيراً ما هما بَراء منهُ) ويجاهرون ان من كفّيه دجلة والفرات والغيث والبحر (يا ربّ نجّنا من الطوفان)

واذا مات بشر طفلًا كان او شابّاً او شيخاً عظيماً كان او من عامّة الناس . امطرتنا السماء . مراثي كلّ منها اطول من شهر الصوم تذكر تاريخ الامم الغابرة وتعدّد صروف الزمان وما اترل من العبر في الممالك الدارسة وتصف هول الخطب الذي اندكّت منهُ الجبال وتزلزلت الارض ومادت الافلاك وتزعزعت اركان السماء (فيقضي القارئ دكّات ودعبات كما تقول العامّة) وبكى الحيّ والجماد وتدفقت الدموع انهراً وبحاراً (يا ربّ نجّنا من الطوفان)

اراك يا صاح لا تذرف العبرات من هول مصاب اهتزّت لهُ الكائنات . كيف لا تتباكى مع الباكين فانت تضحك هازئاً بما تقرأ . واني اناك لفي صواب

فما لهؤلاء الكتّاب في كل وادٍ يهيمون . ان كان ذلك قولهم في عامّة الناس فما يقولون في العظماء والملوك . ما لهم يهزّون الارض ويزعزعون اركان السماء لاقلّ حادث يقع . ما لهم يرمون القراء مجاناً بابيات لا تحصى وليس منها جدوى ومعانٍ لا طائل تحتها يكرّرونها في كل الاحوال واوصاف باطلة ينعتون بها كل فردٍ من البشر

او ليس من الصواب ان يعرضوا عن الكلام الفارغ الى الكلام الجامع المانع فيقولون في كل حادث ما يناسب مقتضى الحال ويصفون الرجل بمزاياه الخاصّة فلا يتعدّون الى

الاقوال العامّة المبتذلة . ففي الافراح يهنئون الرجل ويصفون فرح ذويه . وفي المديح ينعتون الممدوح بكمالاته الشخصية . وفي المراثي يذكرون الفقيد بمآثره ويعزّون آله بما يناسب المقام ممّا يكون بلسماً لجراحهم

امّا اذا بالغوا واشركوا في الافراح والاتراح الخافقَين والثقلَين وال . . . وال . . . عاد مدحهم ذمّاً وتهانئهم شقشقة لسان ورثاؤهم تهكّماً

ويا حبذا لو عدلوا عن نظم القصائد فاراحوا انفسهم واراحوا الشعر والناس . فكانوا من القرّاء لا من الكتّاب واشتغلوا عن التأليف بمطالعة الابيات الرقيقة والمعاني المبتكرة التي تجود بها قرائح الشعراء الاقدمين والمحدثين فتظهر في حينها وفقاً لمقتضى الحال . فان هؤلاء الكرام يأتون من القول الجامع المانع بما لهُ اعظم وقع في النفوس فان مدحوا رفعوا . وان رثوا ابكوا وان وصفوا فتنوا الالباب . . .

قد ذكرتُ لك يا صاح صنفَين من امثال المُرافع والمُدافع . وكم وكم بقي من الاصناف . فهيّا بنا نسمع الخطباء في المحافل والمقرّظين في الافراح والولائم والمؤبنين فوق كل ضريح وغيرهم ممّن قالوا وكتبوا في كل أينٍ وآنٍ فاضرّوا بانفسهم وباخوانهم الافاضل . .

لكنّي اراك عيل صبرك ممّا سمعت وكادت تبلغ منك الروح التراقي . فما عليَّ في ذلك من حرَج لاني بريء من طول الشرح . وما الصفحات مشحونة من كلامي بل من كلامهم حفظهم الله . ولولا ايراد اقوالهم لما تعدّيتُ الصفحة الواحدة

وعلى كلٍّ قد كفى ما قد ذُكر . انك رأيت العبرة فاعتبر . فعليك دائماً بالقول الجامع المانع . واياك من الاسهاب المملّ والكلام غير المفيد . والّا استعاذ الناس من شرّك صارخين : يا رب نجنا من الطوفان

تنسيق المُزْدَرَعات *

لجناب الشاب الاديب سليم افندي اصفر

انما نفهم بتنسيق المُزدرعات تقسيم الاراضي المستثمرة الى قِطَع (وعند العامّة قِطَم) مساوية لعدد النباتات المزروعة فيها والفرنج يدعون ذلك (assolement)

---

* هذه اخصّ التآليف الفرنسيّة التي طالعناها لكتابة هذه المقالة :

L. Magnien : *Le Livre de la ferme.* — E. Gain : *Précis de Chimie agri-*

وندعو تبديل المُزدرعات اختـلاف الزروع في الارض الواحدة على نسق معلوم يراد بذلك استثمار الارض على احسن الوجوه واصلحها. ودَوْر التبديل هو زرعُ النبات الواحد في قطعة الارض نفسها بعد سنين معلومة. وهذا الدَوْر يكون ذا حولَين او ثلاثة احوال او اربعة الخ. على حسب الزمان الذي ينقضي بين الدورين

فلنفرض مثلًا ان بعض الاملاك قُسم الى اربعة اقسام زُرعت بالتوالي بطـاطة ثم شعير ثم حِمَّص ثم حنطة فيكون تنسيق المُزدرع مجموع هذه الزرائع الثابتة في كل قسم من اقسام الملك مدة اربع سنين على المثال الآتي :

قطع الارض	السنة الاولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
القطعة الاولى	بطاطة	شعير	حمّص	حنطة
« الثانية	شعير	حمّص	حنطة	بطاطة
« الثالثة	حمّص	حنطة	بطاطة	شعير
« الرابعة	حنطة	بطاطة	شعير	حمّص

وعادة تنسيق المُزدرعات بالغة في القِـدم. وكان الفلّاحون من اجدادنا لاحظوا ان الارض اذا تناوبت عليها اجناس الزرائع زكا زرعها وزاد ثمرها لكنّهم اختلفوا في سبب ذلك

وقد تعدَّدت في ايّامنا ايضًا الآراء في شرح هذا الامر وبيان لزومهِ. فقال البعض ان الارض تحتاج الى هذا التبديل او الى التحوُّل (وهو تركها بلا زرع سنة) فتأخذ هكذا نصيبًا من الراحة. ومنهم من زعم ان للنبات نفورًا لغيرهِ من النبات او لذات نفسـهِ. وتخيَّل غيرهم ان لكل نباتٍ مادَّةً يتغذى منها فاذا نفد في ارضٍ لم تعد تلك الارض تصلح لهُ. وآخر ما ارتآهُ العلماء في ذلك هو قول الاب الخوري روزيار وهو يبني رأيهُ على اختـلاف طول جذور النبات فيقول انهُ لا بُدّ من تخليف نباتٍ ذي جذر قصير لنباتٍ آخر طويل الجذور سنةً. ولا تخلو بعض هذه الآراء من صحّةٍ لاسيَّما الاخيرة. وقد بيَّنت ذلك بيانًا شافيًا مقتنعًا اكتشافات الكيمياء الحديثة مع معرفة فيزيولوجية النبات وخواصّهِ

cole. — L. Bussard et H. Corblin ; L'*Agriculture*. — E. Risler : *Physiologie et Culture du blé* — Degrully : *Cours à l'École d'Agriculture de Montpellier* — Schloesing : — *Chimie agricole*.

اما الاسباب التي حملت الزرّاعين سابقاً الى تنسيق المزدرعات فرجعها الى ثلاثة : (الاول) عدم المواصلات السريعة بين البلاد. فلمّا كانت كلّ بلدة لا غنى لها عن عدَّة محصولات لسدّ عوزها اقتضى الامر ان يتخذ اصحاب الاملاك قطعاً كثيرة يزرعون بها زرائع شتّى لمؤونة سنتهم فكانوا فضلاً عن شجر الزيتون وجفن الكرم لاستغلال الزيت والخمر الطيبة يزرعون ايضاً الحبوب لينالوا بها خبزاً لقوام معاشهم ومأكلاً لماشيتهم ويُعنَون بزرع البقول كاللوبياء والفول والعدس ومنها غذاؤهم اليومي. (والسبب الثاني) قلّة السّماد وكانوا لا يقتنون منهُ حاجتهم. (والسبب الثالث) ما يطرأ على النبات من الطوارئ كامراض الزريعة واشكال الدويبات وهم لا يدرون بامرها

تلك هي الاسباب التي الجأت قدماء الفلّاحين الى تنسيق المزدرعات وترتيبها. وكثير من هذه المشاكل قد ازالها تقدّم فنّ الزراعة. ومع هذا النجاح لا يزال حذّاق الزرّاعين يوصون بتنظيم المزدرعات وترتيبهـا. غير ان هذا التنسيق قد اضحى اليوم مبنيّاً على اصول راهنة وقواعد ثابتة ادّى اليها الاختبار الصحيح ولم يُترك كما كان سابقاً لخبرة كل فرد من الافراد ومعرفته الشخصية. واليوم ترى اصحاب الاملاك يُراعون لذلك اموراً كثيرة كطبيعة الارض وتركيبها الكيماوي وهيئتها وموقعها الخ

نعم أنّنا اذا اعتبرنا الامر نظريّاً وجدنا ان تخصيص الزرائع ببعض الاراضي دون تبديلها ليس بامر محال وهي الغاية التي سوف يسعى وراءها ارباب الزراعة في العصر القادم اذا ما توفّرت وسائل الفلاحة. وذلك أنّنا نعلم من مبادئ الكيمياء الزراعيّة انهُ يمكن حفظ التربة الارضيّة في خصبها الاول اذا أمدّها الزارع بعدد مناسب من السّماد. ولنا في ذلك مثل السيّدين لاوس وجلبرت وكانا زرعا ارضها قمحاً مدّة اربعين سنة دون انقطاع في مدينة روتمستيد من اعمال انكلترة وكان مُعدّل ما نالاهُ من الغلّة باستعمال السماد الكيماوي سنويّاً ازيد من ثلاثين هكتوليتراً في كلّ هيكتار ارض. وهكذا الزرّاع بُوت في سوبريج بانكلترة يستثمر الحبوب في ارضهِ سنويّاً منذ ٢٧ عاماً وقد سمّدها بسماد كيماوي ومعدّل غلّة الارض ٣٦ هكتوليتراً ونصف وزنها ٧٥ كيلوغراماً مع ٥٠٠٠ كيلوغراماً من التبن. وهو لم يغيّر الزريعة سوى كل ثماني او عشر سنين او اذا عشّبت الارض وكثر باطل نباتها

ولكن في الواقع لم تثبت بعد فوائد هذا التخصيص وربّما اساء الفلاّح استعمال هذه

الطريقة او لم ينل من اتخاذها فائدة. وطالما بقيت اسعار المواشي ومحصولاتها مرتفعة بمعادلة اسعار الحنطة المتهاودة فلا يرضى الّا قليلٌ من الزارعين ان يخصصوا املاكهم لصنف واحد من المزروعات وتثميرها بالموادّ الكيماويّة ما لم تقلّ نفقات الاستغلال وتتوفّر الوسائل الكيماوية والآليّة فيحصل بذلك ربحٌ طائل. واذا فُرض ذلك فانّ تخصيص الاراضي على هذا الوجه لا يلائم كثيرًا من الزروع. وقد بيّنت اختبارات السيّدين لاوس وجلبرت الآنف ذكرهما انّ التسميد بدمال (زبل) الحيوانات او بالسماد الكيماويّ لا يفي بما تحتاج اليه من الغذاء والمادّة بعضُ البقول كالبرسيم والرَّطبة واللوبيا. الخ ولا بدّ من تبديل الزريعة في مثلها. ولذلك اسباب بيّنها الأستاذ ديهرين المعلّم في مكتب باريس الزراعيّ ولا طاقة لذكرها هنا. وخلاصة الامر ان تخصيص بعض الاراضي لصنف واحد من الزروع وان كان ممكنًا من جهة الطريقة الكيماوية يستحيل في الغالب من جهة الطريقة الاقتصاديّة كما رواهُ المسيو ديلير

فتنسيق المزدرعات هو اذن بالاجمال ذو فائدة كبرى وفي بعض الاحوال لا يُستغنى عنهُ مطلقًا. فدونك اخصّ الاسباب التي تقتضي بالالتجاء اليه:

اولًا اشغال الزراعة — ان الارض اذا تُركت على حالها اتت طوعًا بنبات لكنها لا تغلّ الغلّات المثمرة الّا بمساعدة الانسان وحيوانات الفلاحة. هذا وانّ كلّ صنف من الزروع يقتضي تهيئةً خاصّة في التُّربة المعدَّة لقبوله فاذا انقطع الزارع الى زريعة واحدة تشغل ارضهُ مدّة شهور عديدة من السنة ربّما نقصهُ الوقت اللازم لتنقية الارض وتوثيرها. وذلك امر لازب لاسيّما في الاراضي الحزفيّة كي لا ترصَّ الارض فيضحي الشغل شاقًا وتمسي الغلّة زهيدة. ومن جهة اخرى ان زرع البذور والقيام على صيانتها لأمران مهمّان يستوجبان دقّة في النظر ولمّا كان عدد العَمَلة والدوابّ محصورًا فاذا اكتفى الزارع بجنس واحد من الزريعة اضنكهُ وذويهِ الشغل في وقت البَذر وفي زمن الحصاد وبخلاف ذلك لا يكاد يجد لهم شغلًا في بقيّة عامهِ. ولا يُنال من العَمَلة والدوابّ ما لديهم من طاقة الشغل الّا اذا حُمّلهم حملًا متوسطًا متداومًا دون تعب مفرط وراحة زائدة وذلك انّما يكون بتنسيق المزدرعات بنوع ان تتلاحق الاشغال طول السنة بنظام يقتضيهِ كلٌّ من انواع النبات

ثانيًا اهلاك الدويبّات المضرّة واستئصال الاعشاب النافلة — اذا بقيت التربة مدّة سنين متتابعة مزروعة زرعًا واحدًا كثيرًا ما عشّبت وتوفّرت فيها اشكال النبات المتطفّل وتعدّدت

الدويبات المُفسدة وذلك لأنها لا تزال تاتي في التربة مقاماً يلائم طبعها ويوافق نموّها. واذا كرّرتَ زرع الحبوب لاسيما القمح في سنين متوالية وجدت ان الغلّة تتناقص سنةً فسنة. وذلك لان القمح يشغل التربة في قسم كبير من العام وفي اثناء ذلك تنمو الاعشاب الباطلة التي تنضج حبوبها وتنتشر بسرعة في كنف السنابل وعلى نفقتها. وعليهِ ينبغي ان تترك الاراضي بوراً مدةً سنة او سنتين

لكنَّ في الوقت الحاضر ليس من وراء ذلك منفعةٌ لارتفاع اسعار الاملاك. ولدينا طريقة اخرى تفي بالغاية فتعطي التربة نصيبها من الراحة وهي بَدل الزريعة مع دَمْل الارض بالسّماد على نظام معلوم. والافضل ان تُعقب الزرائع المدعوةُ بالمقذّرة وهي التي يكثر فيها العشب النافل بزرائع اخرى كالرُطْبَة والكِرِسَّنة والحِمص ويدعى هذا النوع من النبات خانقاً لانهُ بامتداد جذورهِ وسُوقهِ فوق سطح الارض لا يكاد يترك فضاء ويخنق الاعشاب الباطلة اذا ادركت شيئاً من النمو. ويؤثَر على هذا النوع نوع آخر من النبات يدعى بالنبات المُنظّف مثل الذُرة والبطاطة والشَمَنْدَر والجزر والسَلْجم الخ. وذلك لان هذه النباتات اكثر ما تُزرع صفوفاً ويُعنى بها الزارع عنايةً خاصّة فيقلب تربتها وينقّيها ويكوّم حولها التراب فتبقى الارض طول مدّة نموّها نقيّةً نظيفة

واذا تعدَّد زَرْع الزريعة الواحدة في الارض نفسها ربّما تواردت عليها الدويبات الضارّة التي تعيث بالنبات الجيّد ولا عيثَ الاعشاب المفسدة. ومن المقرّر ان كلَّ جنس من النبات لهُ آفتهُ الخاصّة من الدويبات او العشب المتطفل فاذا تكرَّر زرع النبات نفسهِ في قطعة من الارض تسلّطت عليهِ هذه الدويبات والاعشاب لِما تلقى من الاحوال الملائمة لنموّها فالكتّان مثلاً اذا زُرع سنتين متواليتين في ارضٍ ما اصابهُ كشبه الحَرق. وذُكِر ايضاً ان اغراساً حديثة من الشمندَر فسدت تماماً بعد زرعها مرّتين في بعض الاراضي. والشواهد على ذلك عديدة لا حاجة لذكرها هنا

ثالثاً اقتناء السّماد — ومن منافع تنسيق المُزدرعات انَّ الفلاّح ينال بذلك علفاً لدوابّهِ ولا بُدّ للعَلَف ان يختلف فيزيد على اختلاف الحيوانات وعددها. ولا يخفى ان الدوابّ هي التي بقوّتها تسهّل الاشغال الزراعية ثم تأتي بمحصولاتٍ أُخر كاللحم والصوف واللبن وتُبقي كمّية وافرة من السماد او الزبل. نعم ان إقتناء السماد سهل في غالب الاحوال لكنّ ما ينالهُ الزارع في بيتهِ اولى وارخص

هذا وانَّ للسماد قوّة مخصبة تزيد في ثمنهِ الَّا ان هذه القوّة تضعف اذا بقي مكومًا مدَّة طويلة. ولا طاقة لنثر السماد وتفريقهِ في الوقت المناسب الَّا اذا تمدَّدت قِطَع الملك وزرائعهُ وذلك لانَّ بعض هذه القطع تكون خلوة من الزريعة في بعض فصول السنة

وزد على ذلك انَّهُ اذا أُعقِبَت الزرائع ذات الجذور المنبسطة بزرائع ذات جذور متعمّقة امكنك الانتفاع بكلّ ما لديك من السماد فلا يضيع منهُ شيء · (ستأتي البقيَّة)

التنوير

للاب مودبس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيَّات في المكتب الطبي

انَّ المرء يقضي نصف عمرهِ وهو يستضيءُ بنور صناعيّ · فالتنوير اذًا امرٌ ذو شأن سواء كان من حيث الاقتصاد او من حيث صحَّة العين اعني انهُ يُهمّنا جميعًا ان نعرف ما هي الانوار التي يمكن الحصول عليها بأهون الاسعار مع تساوي ضوئها ثمَّ ما كان منها افضل لباصرة العين ولصحَّة عمومًا

١ المبادئ التي يُستند اليها في التنوير

وهنا فَلْيُسمح لنا بذكر بعض مبادئ علم الطبيعة يُستنَد اليها في التنوير · انَّ النور يحصل من تموُّجات في الأثير وجوهر الاثير لا يُنقَل لهُ وهو يملأ كل المنافذ المتخلّلة بين ذرَّات الاجسام · ومن خواصّ النور ان يصيب بعض حواسّنا وهي العين · والعين عبارة عن خزانة مظلمة في قعرها كحاجز يُدعى شبكيَّة · وتركيب الشبكيَّة من عدَّة عناصر في غاية الدقَّة والصغر كالعُصَيَّات والمخروطيَّات تتوسَّط بين الاشعَّة المضيئة والعصب البصري · فتنفذ الاشعَّة في ثقب القزحيَّة او الحدقة (المنظورة من وراء القرنيَّة الشفَّافة) وبعد انعكاسات متوالية تجري عليها في مرورها بعدَسة البأوريَّة وطبقات العين ترسم على الشبكيَّة صورةً صغيرة من المرئي · فيتأثَّر العَصَب البصري من هذه الصورة ويحصل الانسان على معرفة المنظور

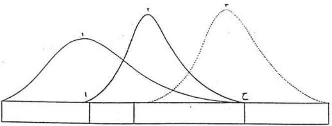
هذا وانَّ الضوء الذي يأتينا من الشمس هو ابيض · غير ان هذا اللون ليس بلون بسيط وانَّما هو نتيجة تختلط الالوان اعني انهُ لا يتَّصل بعيننا تموّج واحد من الأثير بل مجموع سبعة تموُّجات مختلفة الطول ومناسبة لسبعة الوان قوس قُزَح · ويمكننا ان نتحقَّق ذلك اذا نظرنا الى شعاع الشمس بموشور بلّوري يحلّل النور الابيض الى عناصرهِ السبعة · فاذا كان مجموع هذه الالوان السبعة بنسبة معلومة حصل منها النور الابيض · ومن المتبادر انَّ كل

لون اذا أُفرد او مُزج مع سواهُ مزجاً يختلف في الكمّ والكيف يتولّد منهُ الوان جديدة لا يضبطها احصاء. ثم ان الاختبار اليومي يعلمنا ان النور الواحد بلونهِ الخاصّ تختلف شدّتهُ اختلافاً كبيراً. وعليهِ يجب في مسألة التنوير ان نلاحظ هذين الامرين اعني لون النور وشدّة سطوعهِ فيُتّخذ لذلك قياس مضبوط ويُقابَل بين ضوءٍ وآخر

ولا ننكر ان العين نفسها تحسن في الغالب القضاء في هذه المادّة. ولكن كم من مزاعم باطلة يبديها كثيرون في حق الالوان. وكم من آراء مختلفة يرتئيها العامّة في هذا الامر ولو ضربنا صفحاً عن بعض الخطإِ المسبَّب من علل العين كالعلّة الدَّلْتونيَّة مثلاً وهي تجعل البصر يخلط بين اللونين الاحمر والاخضر

وزد على ذلك أنَّنا اذا لاحظنا الطيف الشمسي رأينا انَّ في طرفيهِ وراء اللونَيْن الاحمر والبنفسجي يوجد من الاشعَّة ما لا تدركهُ العين ولهذه الاشعَّة عمَل ذو شأن يبد انها تُتعب العين وترفع درجة الحرارة في المنزل المنوَّر وتؤثّر في بُسط المخادع واستارها الخ

والشكل التالي يمثّل طيف نور الشمس بتمامهِ وهو مقسَّم الى اقسام حارّة ونوريَّة وكيماويَّة. فالخط الملتوي ١ يمثّل قوّة الامواج الحارّة. والخط ٢ يبيّن قوّة الامواج النوريَّة. امَّا الخط ٣ فهو لبيان الامواج الكيماويَّة



(شكل ١) طيف نور الشمس

فما كان وراء اللون الاحمر من الاشعَّة تُطلع عليهِ موازين الحرارة امَّا ما كان منها وراء البنفسجيّ فيُعلن بهِ تصويرُ الشمس لانَّ لهذه الاشعَّة فعلٌ كيماويٌّ عجيب كثير التأثير

في الصفائح التصويرية . امَّا بقيَّة الالوان فيفيدنا عن خواصّها علم تحليل الوان الطيف الشمسي بالموشور فترى عرض الشقق الملوَّنة في الطيف اعني نسبة الالوان تختلف باختلاف لهيب النور

امَّا معرفة شدَّة الضوء وقوَّة سطوعهِ فذلك يبحث عنهُ علم خاص يُدعى علم ميزان النور

وهذه هي الاصول او المبادئ الطبيعية التي يستند اليها هذا العلم :

اوَّلًا ان لمصدرين منيرين سطوعًا متساويًا اذا وُضعا على الطريقة ذاتها بالنسبة الى سطح واحد مستتر فينيرانهِ بنور متساوٍ . وبعبارة أُخرى اذا اشعرا العين بتأثير واحد من النور

ثانيًا لو عبَّرنا بحرف (س) عن شدَّة سطوع مصدر نوري فتكون هذه الشدَّة مضاعفة او مثلَّثة الخ بالنسبة الى مصدر آخر (سَ) اذا نوَّر الاول (س) سطحًا بنور يساوي ضعفَي المصدر الثاني (سَ) او ثلاثة اضعافهِ الخ لو وُضع هذا الثاني كوضع الاول

ثالثًا اذا اختلفت المسافة بين مصدر النور والسطح المتساوي المنوَّر تختلف كمّية النور الواقع على هذا السطح حسب عكس مربَّع المسافة الفاصلة بين النور والسطح المذكورين

مثال ذلك انك اذا وضعت مصباحًا على بُعد مترين من سطح متساوٍ وقع على هذا السطح اربعة اضعاف اقلّ من النور الواقع عليهِ لو كان بُعد المصباح مترًا واحدًا . واذا وضعتهُ على مسافة ثلاثة امتار قلَّ النور الى تسعة اضعاف . وهذا امرٌ يقربُ فهمهُ اذا ما اعتبرنا ان المصباح ينير منطقة نصفُ قطرها مضاعف اعني سطحًا مربَّعًا واذا كان نصف القطر اطول بثلثة اضعاف بلغ السطحُ تسعة اضعاف . فيظهر من ثمَّ ان كمّية النور الواقعة على كلّ جزء من اجزاء السطح يكون مرَّة او ثلاث مرَّات اقلّ . ولكن هذا لا يصحّ الَّا في الاشعَّة السائرة على خط مستقيم امَّا اذا انحرف النور فتكون كمّية التنوير مساوية لسهم الزاوية التي يشكّلها الشعاع مع خطّ السطح العمودي

رابعًا اذا وُجد مصدرا نورٍ (ن و نَ) يلقان من السطوع درجة ندعوها (س و سَ) نوضعا على بعد من سطحٍ متساوٍ يكون قدر مسافتهِ (م و مَ) وكان لكليهما تنوير واحد فتكون اذ ذاك درجة سطوعهما مناسبة لمربَّع مسافتيهما فتحصل النسبة الآتية :

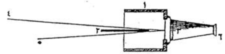
$$\frac{س}{سَ} = \frac{م^2}{مَ^2}$$

وذلك انهُ لمّا كان التنوير الحاصل من المصدر (ن) مناسباً لدرجة سطوعهِ وبعكس مربَّع بُعدهِ عن السطح فيكون مساوياً لهذه $\frac{\text{س}}{\text{م}^2}$. وكذلك ان التنوير الحاصل من المصدر (نَ) يكون $\frac{\text{سَ}}{\text{مَ}^2}$ فاذا كان كلاهما متساويين تحصل هذه النسبة:

$$\frac{\text{س}}{\text{م}^2} = \frac{\text{سَ}}{\text{مَ}^2} \quad \text{او} \quad \frac{\text{س}}{\text{سَ}} = \frac{\text{م}^2}{\text{مَ}^2}$$

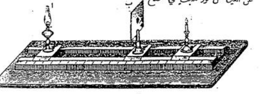
٢ موازين النور

ان آلات ميزان النور كلها موسَّسة على هذه النواميس. ولكي تحصل المقابلة المطاوبة بين نورين يجب وضعهما بنوع ان يكون تنويرها للحاجز متساوياً. فنسبة مربَّع بعدهما من الحاجز تبيِّن نسبة شدَّة سطوعها. وموازين النور كثيرة لكنا نكتفي بتعريف اثنين منها نراهما اوفق من سواهما. وهما ميزان فوكو (Foucault) وميزان بُنْزِن (Bunsen)



(الشكل الثاني)

فميزان فوكو (الشكل الثاني) هو عبارة عن صندوقة (١) مفتوح جانبها المقابل للنورَين (٤ و ٥) ومقفل من الجانب الآخر بصفيحة من زجاج يُطلى بمحلول النشا. وينفصل ضوء النورين بحاجز (٢) يقسم الصندوقة بحيث لا ينير كلٌّ منهما الَّا جانباً من صفيحة الزجاج فيفحص المختبر صفيحة الزجاج من خلفها بأنبوبة (٦) مُسوَّدة في داخلها تنفي عن العين كل نور منبثٍّ في المخدع



(الشكل الثالث)

امَّا في ميزان بُنْزِن (الشكل الثالث) فيُجعل النوران (ا و د) من جهتي الحاجز

(ب) وهو عبارة عن ورقة بيضاء في وسطها بَقع من مادة دهنيَّة. فهذا البَقع يُرى مظلماً اذا نظر اليهِ الناظر منعكساً وهو نيِّر اذا رآه مستشفاً. فيختار الباحث للنورين مسافةً بحيث يضمحلُّ البَقع ولا يتم ذلك الَّا اذا كان التنوير متساوياً من الجهتين فلم يبقَ الَّا الجري على النواميس المذكورة آنفاً

وميزان فوكو يستعملهُ من عُهد اليهم في باريس نظارة غاز التنوير. امَّا ميزان بُنزِن فيستعملهُ كثير من مجهّزيّ آلات التنوير

الَّا انَّ هذه المقابلة بين سطوع الانوار لا تصحّ الَّا اذا تشابهَ الاضواء باللون. ولولا ذلك لقضت دقَّة القياسات ان يحلّل النوران فتُقابل كل شقَّة من سبعة الوان الطيف مع الشقَّة المجانسة لها. وقد اثبت العلاَّمة كرؤنا انَّ الافادة المطلوبة من هذه المقابلة تُنال على وجه مرضٍ اذا ما فُحص الحاجز المنوَّر من وراء مزيجٍ ملوَّن يتركب من بركلوردد الحديد وكلورور النيكل. فهذا المزيج من شأنه ان يوحّد الوان الاضواء فيساوي اشكالها المختلفة ويمكّن من المقابلة ما بينها

هذا ويوجد موازين لقياس سطوع كل نورٍ على حدتهِ. وقد اصطُنع غيرها لتعريف كمِّيَّة النور الحاصلة في نقطة معلومة من الحجرة المنوَّرة. واغلب هذه الآلات مبنيَّة على ذات مبادئ الميزانين السابق ذكرهما. فمن ذلك مقياس المعلّم مَسكَرت وهو مركَّب من صفيحة زجاج مطليّ بمحلول النشا تُوضع في النقطة التي يريد الباحث ان يعرف نورها في المخدع ومن الجانب الآخر قد رُكّب في نفس المقياس مصباح مثاليّ. ولا حاجة هنا لتبديل المسافة بل تُبدل كمية النور الى ان تنوّر الصفيحة بنور متساوٍ من الجانبين. وفي المقياس عِداد يوقف الباحث على نتيجة الاختبار

٣ وَحدة قياس التنوير

قد بيَّنَّا في ما سبق اخصّ الآلات التي تُمكّن المرء من معرفة الانوار. فاذا ما أُضيف اليها مقياس الحرارة (ترمومتر) لمعرفة ارتفاع درجة الحرارة عند التنوير وزيد عليها بعض ادوات التحليل الكيماوي المبيّنة فساد الهواء الحاصل من توقيد السراج توفَّرت لدينا الوسائل لتعريف اشكال التنوير. ولم يبقَ علينا سوى ان نذكر وحدة القياس التي يُرجع اليها في التنوير. فكما ان السنتيمتر والغرام هما وحدة القياس في المسافات او الاثقال هكذا كانت المؤتمرات الدولية الى غاية سنة ١٨٨١ قد جعلت الشمعة او المصابيح المثالية كوحدةٍ لقياس

التنوير وكان لكلّ بلدٍ وحدة قياس اليها مرجعهُ في تقديرهِ

فكانت فرنسة اتّخذت مصباح كَرْسِل مقياساً لها وهو لا يزال مستعملاً في بعض ولاياتها حتّى الآن. ومعدَّل هذا المصباح ان يوقد ٤٢ غراماً من زيت السَّلجم الصفّى في الساعة وكان الكيماويّان الشهيران دُوماس وربنيُو عيّنا بكل تدقيق شروطهُ

وكانت وحدة قياس انكلترة والولايات المتحدة الشمعة المركّبة من شحم الحوت (Standard candle) وزنها سُدس الليبرة الانكليزية

امَّا المانية فكانت وحدة قياسها الشمعة المركّبة من مادّة زفتيّة تُعرف بالبَرَافين (Vereinskerne) ثقلها القسم الثاني عشر من الكيلوغرام

ولمّا كانت سنة ١٨٨١ اتّفق اعضاء المؤتمر الكهربائي على اتخاذ مصباح ڤيول (Violle) كوحدة لقياس التنوير ومن خواص هذا المصباح ان نورهُ يثبت في سطوع واحد مقرَّر لا تغيّرهُ طوارئ التوقيد كما هو الغالب في ايقاد المواد الآليّة. وهذه الوحدة هي النور الصادر من سنتيمتر مربّع من البلاتين في درجة جمودهِ (١٧٧٥°). وهي وحدة مضبوطة القياس الّا ان استعمالها لا يخلو من الصعوبة وعليهِ قد اوصى اعضاء المؤتمرَين المنعقدَين في سنة ١٨٨٩ و ١٨٩٦ ان يضاف على مصباح ڤيول كقياس ثانوي الشمعة العُشريّة وهي القسم العشرون من وَحدة ڤيول وعُشر وَحدة كَرْسِل على التقريب. واذا شئت حساباً مضبوطاً فقل ان مِقياس كَرْسِل يُساوي تسع شمعاتٍ عُشريّة و ٦٢ قسماً من الشمع العشري و ٨،٩١ من الشمع الانكليزي و ٧،٧٩ من الشمع الالماني.

فوحدة التنوير اذاً انّما تكون الشمعة العشريّة اي عُشر متر مثاليّ ندعوهُ «نوراً» (Lux) او وحدة قياس كَرْسِل من المتر. ووحدة كمية نور التنوير اعني ما تبثّهُ الشمعة العُشريّة من النور في زاوية مساوية للوحدة مدّة ساعة تدعى «ضوء ساعة» (Lumen-heure) وهذا القياس هو المتّخذ في المعاملات التجاريّة. والشمعة العشريّة تبعث نوراً متساوياً يوازي اربعة اضواء. ويلزم نحو عشرة انوار ليقرأ القارئ دون تعب في البصر ويُقتضى نحو ثلاثين نوراً في اي نقطة كانت من المخدع لِيُعدَّ تنوير المخدع حسناً

ويُنال النور الصناعي بإشعال مادّة قابلة للالتهاب في اوكسيجين الهواء او باحماء مادّة يضيء تشعشعها كلهيب النار. وانواع الوَقود لا تكاد تُحصى ولكن لا يصلح اكثرها للتنوير فنار الحطب مثلاً التي تزهر في مواقدنا وتبهج بضوئها اجتماع الاهلين قلّما يستعمل نورها

للقراءة او الشغل لان لا سطوع لهُ ولا ثبات. فينبغي لمن اراد ان يستضيء بهذا النور ان يستخرج ما في الحطب من الغاز فيقطرهُ ويصفّيه ثم يجمعهُ في قنديل ويوقده. وهو امرٌ لا يمكن اجراؤهُ الّا في بعض البلاد الغنيَّة بالغابات والحطب

هذا وان الدهون والشحوم والصموغ تصلح ايضاً للتنوير الّا انها لقلَّة نورها وكثرة دخانها لم تعد تستعمل اللهمَّ الّا في بعض الاحوال لعدم وجود غيرها

ولكي لا نتجاوز الحدود في المقال فاننا سنبحث عن شمع الشحم ثم عن الزيت والبترول ثم الغاز بغلافٍ متأجج او دونهُ ثم الأسيتيلين ونختم بالكهرباء. وسنذكر اختلاف اسعار ما سبق ذكرهُ بياناً للاقتصاد في التنوير البيتي والتنوير العمومي وسنبيّن بنوعٍ خاصّ ما يحصل من هذه الانوار من المضارّ للبصر. وفي الاجمال انّ التنوير الصناعي مخلٌّ فيؤثّر في البصر والرأس وينتج عنهُ عدَّة امراض. وقد استلفت الدكتور شاكر الخوري في كتابهِ المفيد عن صحَّة العين نظر الجمهور الى هذا الامر المهمّ ويحسن بنا ان نختم كلامنا بقولهِ :

« ان العين خلقت هكذا لاجل استقبال الضوء واذا لم تدرك الضوء فلا نفع بها فاستنتج من ذلك ان حياتها الادبية هي الضوء فدائماً تفتش عليهِ وتعمل مجهودات كليَّة لاجل ادراكه فترى الحدقة التي خلقت لاجل تنظيم الضوء تتغير اشكالها بالضيق والسعة حسب مقدار الضوء فانها تنقبض في الضوء وتتسع في الظلام ...

وعلى قدر منفعة الضوء يكون ضرره اذا كثر او قلّ لان الكثير والقليل يسبّب الضرر نفسه فاذا كانت العين سليمة فكثرة الضوء او قلّته تضرّها واذا كانت مريضة فان ادنى شيء منهُ يضرّها جدًّا فيلزم منعها عنهُ بالكلية لانهُ منبهها الطبيعيّ فتتنبَّه منهُ اكثر من غيرهِ »

(ستأتي البقية)

خريدة لبنان

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

(تابع لما قبل)

فلم ينتبه الغريب بادىء بدء الى احتفاء اهل البيت بهِ لأنهُ وجّه كلّ افكارهِ وكل عواطفهِ نحو التي قد طار اليها فؤاده. وقد سرحت انظاره في زوايا المكان علّهُ ان يصادف

من الموجودات ما يخبره عن انيسة . وفيما هو على تلك الحال ذاهلاً اشعر بيد ناعمة اخذت بالثاله فاذا به يرى الصبيّ الذي شاهده يلعب مع البنات . وكان هذا الصغير تخلّف عن امه واخواته ولحق بالغريب كأنَّ قوَّة تدفعهُ نحوه فوقف بين يديه يحدّق بعينين زرقاوين تلمعان انعطافاً ويرفّ عن ثغر كالدرّ ابتسامات تسبي الالباب

فنادتهُ امهُ قائلة : تعال يا بطرس . ما هذه الجسارة يا بُنيَّ

وكأنَّ الصغير لم يسمع نداء والدته فبقي يداعب الرجل . وقد أُعجب هذا به وحنت اليه جوارحهُ وهو لا يقف على سرّ تبادُل الانعطاف بينهما فقال للولد بصوت الحنوّ : حُيِّيت من مَلَك صبوح الوجه وضَّاح الجبين فقد حرّكت نظراتك فؤادي وانت بكل تحيّة جدير يا وجه الخير

واخرج من جيبه كيساً صغيرًا له حلقات فضيّة يتخلّلها بعض اللآلئ فدسّ فيه شيئاً من النقود وقدّمهُ للصبيّ فطار هذا فرحاً بالهديّة لكنّه ما برح قابضاً على يد الغريب يتأمَّلهُ كأنَّما قرَّت به عينهُ

فتقدَّمت الامّ وقالت له بصوت التوبيخ : بطرس لا تكن قليل الادب . اشكر فضل الخواجه وقبّل يده . فقبّل الصغير يد المحسن اليه وهتف بارق النغمات . كثَّر الله خيرك يا سيّد حنا الطويل . . .

فما اعظم ما كان انذهال المسافر وتأثره عند ما سمع هذا الصغير يتلفَّظ باسمه . فاغرورقت عيناه بالدموع واخذهُ بين يديه وحدّق اليه وسألهُ قائلاً : ايها الملاك الكريم كيف علمت مَن انا ولم ترَني البتَّة فمن انبأك عن اسمي ؟

فاجاب الغلام متبسماً : انيسة الضريرة

قال الرجل : وكيف عرفتني انني انا هو ولا غيري ؟

— عرفتك يا سيّدي على الفور . فاني لمَّا كنت اذهب مع انيسة لندور على الابواب ما كانت تنقطع عن ذكرك . وقد سمعتها مرارًا تقول انك طويل وعيونك سود لامعة . وانك ستعود حاملاً الينا التحف والهدايا . . . ولذا لمَّا رأيتك ما خفت منك لان انيسة اوصتني بان احبَّك ووعدتني انك تعطيني عند رجوعك حصاناً . . .

وكان المسافر يصغي الى كلمات الصبي بتعهي اللذَّة فضمَّهُ الى صدره شديدًا والتفت الى الحائك وامرأته فصاح قائلاً : ايها الوالدان اني آخذ على نفسي العناية بشأن ولدكما

فأجعلهُ في المدرسة ليتعلّم ويتثقّف فلا ينقصهُ شيء . . فهو اوّل من عرفني واحبّني ولذا فاني اسعى في ان تكون معرفته لي علَّة نعيمه على الارض

ولا حاجة الى وصف دهشة ذينك الوالدين وفرحهما . فقال الاب متلجلجاً : قد غمرتنا بفضلك يا سيدي . . . ولكن نحن كنا عرفناك . وقد ظننّا ان العيان يخدعنا لان انيسة لم تخبرنا انك رجل غني خطير

فصاح المسافر : وانتما ايضاً تعرفانني يا وجوه الخير فتياً تكما : يا الله اني اراني بين خلّاني عند اهلي في وطن لم اجد فيه بادئ بدء الّا الموت والنسيان

فاشارت المرأة الى صورة العذراء في مشكاة وقالت : هنا كنّا نوقد قنديلاً كل يوم سبت لاجل رجوع حنّا غنطوس . . . او لراحة نفسه

فرفع المسافر طرفهُ الى السماء كأنما زال عنهُ حمل فادح فصاح : تعالت احكامك يا كريم فانهُ بفضلك غلب الحبُّ البغضاء . لئن يكن الغفّار اكمن الحقد في اعماق فؤاده فانيسة عاشت بذكري واضرمت كلّ ما حواليها بنار الحبّ فجعلتني حاضراً مع طول غيبتي وبُعد سفرتي وطبعت القلوب على مودّتي . اشكرك اللهم على عظيم نعمتك

وعقب هذا الكلام سكوت طويل . فكان المسافر يحاول ان يتجلّد لما عراه من شديد التأثّر وصاحبا البيت مطرقان تهيّباً واجلالاً . وقد تظاهر الحائك انهُ عاد الى نوله ولكنه ما برح يسارق النظر الى ضيفه ليبادر الى خدمته ان بدا منهُ اشارة

٦

امّا هذا فدخّن بالنارجيلة تباعاً وهو لا يرشدُ ثمّ عاد فاخذ بيدي الصبيّ وقال بصوتٍ مستكين : هل مضى على انيسة زمن وهي مقيمة عندكم ؟

فجاءت المرأة بمغزلها ودنت من المسافر كأنها تتهيّأ لحديث فجلست واجابت

اني اخبرك يا سيدي كيف انتقلت الينا انيسة . يجب ان تعلم انهُ بعد موت حسّون الشيخ وامرأته تقاسم اولادهما التركة . ولم تكن انيسة ترضى بان تتزوّج ولا يخفى عليك سبب امتناعها . فتخلّت عن حصّتها لاخيها على شرط انها تقضي عمرها في بيته ثمّ اخذت تشتغل بالخياطة وكانت تجمع كميات من الدراهم وافرة توزعها كلها على سبيل الاحسان

وكانت تعود المرضى وتستدعي لهم الطبيب على نفقتها ان كانوا من اهل الفاقة . وكان كلامها العذب يعزّي الحزين ويدها البيضاء تنعش قلب البائس . فيوماً من الايام —

ولم يكُ قد مضى على زواجنا الّا ستة اشهر — عاد زوجي الى البيت يشكو مرضاً عضالاً سبَّب لهُ من ذاك الحين هذا السعال الذي تسمعهُ . ولولا رحمة الله وشهامة انيسة لكان زوجي يوسف في عدد الاموات. آه ياسيدي لو كنت تعلم ما بذلت انيسة في سبيلنا مجرَّدًا لوجه الله. فانها جاءتنا بأغطية صوف وكان وقتئذٍ فصل الشتاء. ونحن فقراء. واستدعت طبيباً من سوق الغرب ليفحص مرض زوجي واخذت تسهر عليهِ هي بعينها فتخفف آلامهُ وتؤنسني بكلامها الرقيق. فما احنّ قلبها واشرف نفسها. فكنت تراها لا تهتمّ بشأنها بل توجه اعمالها لخدمة الغير كأنها ما دخلت الدنيا الّا لاجل القريب وما اتعس ما كانت حالتنا لولا هذا الملاك. فهي دفعت عنا ثمن الادوية وكانت تمدّنا بالدراهم

وكانت محبوبة من الجميع وحينما كانت تدخل بيوت الاغنياء تطلب منهم المساعدة لفقرائها لم يكن احد يطاوعه قلبه ان يمنع عنها العطاء. وبقي يوسف مريضاً مدةً شهر ونصف وانيسة تساعدنا حتى تمكَّن زوجي من معاودة اشغالهِ

فقال المسافر متنهدًا: لاشكّ انَّ حبَّكما عظيم للضريرة

فرفع الحائك رأسهُ وكانت الدموع تتلألاء في عينيه فصاح بلهجة التأثر الشديد: لو كان دمي يُعيد اليها بصرها لتركتهُ يسيل حتى آخر قطرة

فاخذ هذا الكلام من حنا غنطوس كل مأخذ وفعل فيهِ ما لا يوصف وقد فطنت المرأة الى حالته فاومأت الى رجلها ان يلزم السكوت وعادت الى سياق حديثها فقالت:

وبعد ثلاثة اشهرٍ رزقنا الله صبياً. وهو الذي بين يديك. ويوم عمادهِ توسلَت الينا انيسة بان نسمّيَهُ حناً. لكن سلفي طلب ان ندعوه بطرس باسمه وسلفي رجل طيّب القلب لكنه عنيد. فبعد الاخذ والردّ تقرّر ان نسمي ولدنا حنا بطرس. فنحن نناديهِ باسم بطرس اكراماً لسلفي امّا انيسة فلاتدعوه الاّ حنا. وهو مثل الحملِ حنظتهُ السيدة. وقد تعوّد على الاسمين. ويعلم انهُ يدعى حنا باسمك انت يا سيدي...

فضمّ المسافر الصبي على صدره وقبَّلهُ مرارًا ثم اخذ يتأملهُ ولم ينطق ببنت شفة وكان فؤاده يطفح سرورًا. فنسي حينئذٍ الخمس والعشرين سنة التي قضاها في الغربة لا يرى صديقاً ولا نسيباً ولا انيساً. نسي ما قاساه من الاتعاب وما تجشمهُ من الاخطار. فكفاهُ حظّاً انهُ عاد مابين قوم يعرفونهُ وينظرون اليه نظر الوداد ولسعادة حظهِ قد وجد ان انيسة لم تزل حيّة. فكان لقلبهِ هذا الفكر اشبه بوابل المطر على الرمال المحرقة يردّدهُ في جنانهِ:

انيسة لم تزل حيّة قريبة منهُ وعما قليل يراها ويضمها بين ذراعَيهِ... فضمَّ الصبي وقبّله ثانيةً لا يمي. والصغير ينظر اليهِ جذلًا مسرورًا

٧

وكانت الامّ تتأمل في هذا المشهد وقد عرا قلبها اهتزاز طرب لا يوصف. ثم عادت الى حديثها فقالت: وكان اخو انيسة اتّفق مع احد تجار بيروت على مشترى فيالج (شرانق) هذه النواحي كلّها. وكان الناس يزعمون ان هذا الشراء يُغنيهِ كثيرًا. وفي واقع الامر ربح في البداءة ارباحًا طائلة. ولكن لم تمضِ عليهِ ايام الّا افلس التاجر وكان اخو انيسة قد كفل كل الغرماء فدفع لهم جميع اموالهِ وباع ما عنده ولم يفِ بذلك نصف ديونهِ. وما لبث ان مات من الغم والقهر. الله يرحمهُ... وحينئذٍ عرض فارس عبُّود على انيسة ان تسكن معه في بيت ابيهِ... فقطع المسافر كلامها وسأل باغتًا: وما فعلت انيسة ؟

— لم تتردَّد عن الجواب بالرفض. وقد عرفنا فيما بعد سبب رفضها ولَمّا كانت رقيقة القلب تلاطف الجميع كان فارس عبود يسعى في مكالمتها فكانت تجيبه بحشمة وادب وتمرّ في طريقها ومع انها فقيرة خطبها كثيرون من الشبّان من احسن عيال الضيعة. ولكنها ابت ان تجيب هذا الطلب. ولم يكن التخلّص من مثل هؤلاء الطالبين بامر السهل. وبعضهم ظنوا ان رفضها ناتج عن احتقار لهم فسعوا في اضطهاد هذه البنت القديسة وحاولوا ايضًا ان يلقوا عليها التهم الشنيعة. ولكن خابت مساعيهم اذ لم يكن في الضيعة من يصدق تلك الاشاعات القبيحة في حقها. ولا يظن السوء في انيسة الّا من يشكّ في الفضيلة عينها

ولم تخلُ مع ذلك من مقاساة الاهانات. وما يصعب تصديقهُ ان الذين خلّصتهم من الموت ونشلتهم من وهدة الفقر هم نفسهم الحقوا بها الاذى. فتلك حالة العالم. ومصائب هذه الابنة الكريمة اغلقت دونها ابواب القلوب عوض ان تستميل اليها الجميع (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

الآثار الفكرية

لعبدالله فكري باشا ناظر المعارف المصرية سابقًا

هو عنوان كتاب يشتمل على ما تيسّر العثور عليهِ من نظم ونثر لعبد الله فكري باشا ناظر المعارف بمصر سابقًا. وقد جمع هذه الآثار حضرة نجلهِ سعادتلو امين فكري

باشا ناظر الدائرة السنيَّة فافتتح المجموعة بترجمة والدهِ التي نظم عقدها العلّامة الشيخ محمد عبده واختتمها ببعض مراثٍ رثاهُ بهِ افاضل شعراء العصر. وجمل المجموعة تقدمة لحضرة الخديويّة العباسيَّة. والكتاب مصدَّر برسم صاحب الآثار ويحتوي على ٤٥٤ صفحة وقد طبع في المطبعة الكبرى الاميريَّة ببولاق. وممَّا يدلّ على علوّ منزلة المترجَم ما كتبهُ في شأنهِ ذاك الشهم الخديوي اسمعيل باشا لما عيَّنهُ لملاحظة الدروس الشرقيَّة بمعية انجالهِ الاماجد فيذكر انهُ عيَّنهُ لهذه الوظيفة مع احتياجه لبقائهِ في معيتهِ فآثرهم على نفسه لفرط اعتنائه بتقدّمهم في المعارف ويحثّهم على ان يقدروا هذه العناية والرعاية حقّ قدرها. ولنا برهان آخر على سامي مدارك صاحب هذه الآثار انهُ كان الساعي بتوسيع ثروة المكتبة الخديوية التي اصبحت كروضة غناء للالباب تُجتنى منها زهور الآداب فانهُ لما عهد اليهِ النظر في امر الكتب التي كانت محكومة في ديوان المحافظة وابداء رأيه فيها قدّم تقريرًا مفصّلًا ضمنهُ بيان ما رآه في حالها وذكر فيهِ ان بقاءها على حالتها لا يحسن ولا يفي بالغرض من حفظها ولا يمكن من الانتفاع بها ومن الواجب ان تجعل في حالة يتأتى معها انتفاع الناس بها واوضح ان الاولى احالتها على ديوان المدارس لتودع في المكتبة التي كان يقوم بانشائها سعادة علي باشا مبارك ناظر المعارف اذ ذاك. وقد حصل الامر على وجه ما قررهُ. ولفكري باشا الايادي البيض في اصلاح طرق تعليم العربية في المكاتب الاهلية والمدارس الاميريَّة فرفع منارها واعلى شأنها وجعل اسلوب تعليمها على الطريقة المؤدية الى الغرض من دراستها

فمن النزر الذي اوردناه في شأن الرجل يُعرف قدر الكتاب. الذي هو ثمرة افكاره الشهية. ومعلوم ان المنشئ اذا تصدَّى لكتابة بغية نشر تآليفه والانتفاع من ورائها قلّما يخلو انشاؤهُ من التصنُّع فيجري قلمه على القرطاس كمن يجلس على مائدة ولا شهوة له للطعام. او يكون كالنور يخيّم عليهِ الضباب. ولكن اذا ما كانت كتابته ناتجة عن هاجس في الفكر او شوق في القلب ملبيًا مقتضيات الاحوال ودواعي الظروف جاء انشاؤهُ فطريًا يعبر عن مكنونات افكاره كما هي فتجنَّب كل تكلف وأتى بالمعاني المبتكرة فكانت الالفاظ طوع المعاني لا المعاني طوع الالفاظ وارتسمت صورة الكاتب في كتابتهِ. هذه هي مزيَّة الآثار الفكرية التي تخوض في فنون عديدة وتجمع بين السلاسة والبلاغة والرقّة والدقّة نخص منها بالذكر مكاتباتهِ المختلفة. الا اننا كنا نودّ لو نُفيت من هذا الكتاب بعض ابيات عشقية تشينهُ اكثر مما تزينهُ

ا. ص.

اسئلة واجوبة

س سألنا احد فضلاء دمشق س.غ. الى اي حجة نسند قولنا في الصفحة ٨٧ من المجلة عن مجيء المسيح الى بيروت

ج نجيب ان هذا تقليد ذُكر في عدّة كتب. وقد اثبتهُ في القرن الخامس عشر الكاتب الالماني بريتنباخ (Breitenbach) في تاريخ رحلتهِ الى الاراضي المقدَّسة رواية عن غيرهِ من الكتَّاب. وورد ايضاً في مقالة لاتينية عن بيروت ليوحنا ستروخ طبعت في بتروبغ سنة ١٦٦٢ في الصفحة ٣٨ (Joannis Strauchi, dissertatio de Beryto)

س وجاءنا من الفيحاء للاديب الخواجا حبيب افندي الزيات: هل تعلمون لدمشق غير كتاب ابن عساكر تاريخاً شاملًا او خاصاً ببعض حوادثها في اللغات الشرقية او الغربية

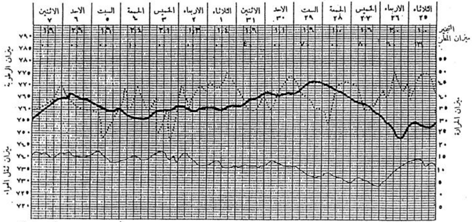
ج انَّ الكتب التي ورد فيها قسم من الحوادث المتعلقة بتاريخ دمشق لا تكاد تحصى وفي كل كتب جغرافيي العرب وتواريخهم صفحات مطوَّلة في اخبار دمشق. امَّا المؤلَّفات المعروفة اليوم التي مدارها على الفيحاء خصوصاً ما عدا تاريخ ابن عساكر فهي هذه (١) تحفة الانام في فضائل دمشق الشام للبصروي في خزانة كتب لندن الخطّيَّة كُتب في القرن الحادي عشر للهجرة (٢) تاريخ ميخائيل الدمشقي النصراني في المكتبة ذاتها يروي بلغة عاميّة اخبار دمشق من سنة ١١٩٧هـ الى ١٢٥٧ (٣) نزهة الانام في محاسن الشام لأبي البقاء عبد الله بن محمَّد الدمشقي من كتب مكتبتنا الشرقية (راجع كشف الظنون للحاج خليفة العدد ١٣٦٧٦) (٤) تاريخ دمشق وتدمر بالانكليزية .Damascus and Palmyra by Ch. Addison, 2 vol. London 1838 (٥) خمس سنوات في دمشق بالانكليزية Five years in Damascus, by R. Porter, 2 vol. London 1855

س رغب الينا الاب الفاضل جرجس غراف احد طلبة كليَّة دِلّنجن في بافارية ان نفيدهُ شيئاً عن اخبار بعثة الاباء الدومينيكان العلميّة في مدينة بترا في وادي موسى

ج قد جاءت تفاصيل هذه الرحلة في العدد الاول من مجلّة الاباء المذكورين المعروفة باسم Revue Biblique وكان قد سبقهم الى بترا حضرة الاب العالم الدكتور لويس موصيل وكتب مقالةً عن سفرهِ في مجلّة براغ Vestnik ceské Akademie N°1, 98 وذكر ما وجدهُ فيها من الكتابات. ولتراجع ايضاً مجلّة Palestine Expl. Fund, April 1897

دُعرض علينا عدَّة اسئلة لم يسمح لنا ضيق المكان بالجواب عليها في هذا العدد ل. ش.

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٥ كانون الثاني الى ٧ شباط



انّ الخطّ الضخم (▬) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة — وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالمليمترات وعشر المليمترات